
روايات مصرية للجيب
"رجل المستحيل"
أصابع الدمار

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ القنبلة ..

راقب القبطان (أحمد) ، قائد المدمّرة الحربية المصرية (فجر) ، شاشات الرادار فى كابينة القيادة بصورة روتينية ، ثم انهمك فى مطالعة بعض الخرائط البحرية فترة طويلة ، ولم يلبث أن رفع رأسه عنها ، ودعك عينيه المنهكتين بأصابعه ، ثم سأل مساعده :

ــ ما موقعنا الحالى ؟

أجابه المساعد فى لهجة روتينية ، اعتادها من طول العمل فى هذا المنصب :

ــ على خط طول خمسين درجة ، وخط عرض صفر شرق مدينة (كسمايو) الصومالية ، وعلى بعد عشرين ميلاً بحريًا تقريبًا .

هزّ القبطان (أحمد عزت) رأسه وهو يستمع إلى مساعده ، ثم قال :

— أعتقد أنه قد حان الوقت ، للاستدارة والعودة إلى ميناء العقبة .

بدأ بحارة المدمرة فى اتخاذ الخطوات اللازمة للعودة ، ولكن ارتفع فجأة صوت صفارة الإنذار بالمدمرة ، فترك كل منهم ما بيده من عمل ، وأسرعوا إلى مراكزهم وأسلحتهم ، كما تم تدريبهم سابقًا ، وأسرع القبطان يسأل المسئول صائحًا :

— ماذا يحدث ؟ .. إننا لسنا فى حالة حرب .

أجابه مراقب الرادار فى قلق واضح :

— إنها طائرة صغيرة من نوع مجهول ، تنقض علينا من ارتفاع شاهق ، ويرفض قائدها الإفصاح عن هويَّته .

قطَّب القبطان حاجبيه فى تفكيرٍ مَشُوب بالدهشة ، وقال :

— هل حاولت سؤاله أكثر من مرة ؟

أجابه مراقب الرادار ورنَّة القلق تتزايد فى صوته :

— نعم يا سيِّدى .. وهو يواصل انقضاضه بزاوية انتحارية .

لم يتردَّد القبطان لحظة بعد إجابة مراقب الرادار الأخيرة ، فأسرع يملى أوامره بإعداد الصواريخ المضادة للطائرات ، التى تحملها مدمرته ، وإطلاقها فورًا على الهدف ..

واصلت الطائرة الصغيرة اندفاعها ، غير مبالية بإشارات الإنذار ، التى تلقتها من فوق ظهر المدمرة ، ولم تلبث أن مالت بمقدمتها حتى أصبحت عمودية تمامًا على محور المدمرة ، وزادت من سرعتها فجأة بصورة مذهلة ، فصاح القبطان فى جزع :

— أطلقوا النار على الهدف مباشرة .

انطلقت الصواريخ الرفيعة المضادة للطائرات ، نحو اللهب المتصاعد من فتحة العادم ، بالطائرة الصغيرة التى ناورت الصواريخ بمهارة ، ولكن الصواريخ المصرية الصنع اندفعت نحوها فى مناورة أكثر مهارة ، ولكن ذلك لم يمنع من اقتراب الطائرة الصغيرة من المدمرة،حتى أصبحت على ارتفاع مائتى متر فقط ..

وفجأة اخترق الصاروخ المصرى الصغير فوّهة العادم بالطائرة ، وارتفعت حرارته بفعل اللهب المنبعث منها ، فانفجرت داخل الطائرة الصغيرة ، فانفجرت بدورها على ارتفاع مائة وخمسين مترًا من المدمرة المصرية (فجر) ، ولكن ....

برغم ذلك لم تنج المدمرة المصرية ، بل تحطَّمت تمامًا ، وتناثرت أجزاؤها على مسافات شاسعة فى أرجاء المحيط الهندى ..

لأن الطائرة الصغيرة لم تنفجر بصورة عادية ، وإنما بصورة مذهلة لم يتوقَّعها أى من العاملين على سطح المدمرة ، فقد سمع سكان جنوب شرق الصومال صوت ذلك الانفجار ، الذى حدث على بعد عشرين ميلاً من شواطئهم ، ورأى معظمهم ذلك الانفجار الذى ارتفع فيه دخانه عاليًا فى الفضاء ، صانعًا ذلك الشكل المميَّز الذى يشبه فى مجمله النبات المعروف باسم عش الغراب ..

لم يكن الانفجار عاديًا ؛ لأن تلك الطائرة الصغيرة كانت تحمل بداخلها قنبلة .. قنبلة ذَرية .

٢ — مهمة دولية ..

هبطت الطائرة القادمة من (استانبول) فى مطار القاهرة الدولى ، وصفقت (منى توفيق) بكفَّيها فى جذل كالأطفال ، وهى تقول :

— أخيرًا سنحصل على قدر كافٍ من النوم ، بعد تلك الأيام العصيبة التى قضيناها فى محاربة تلك العقرب (شاهيناز كاظم) ، وزوجها اللعين .

ابتسم (أدهم صبرى) ، وقال وهو يهبط سُلَّم الطائرة :

— لا تتسرَّعى يا زميلتى العزيزة ، فقد يطلبنا السيد المدير فى الصباح الباكر .

ولكن (منى) لم تردّ على عبارته ، بل قبضت بكفِّها الصغير على معصمه ، وهى تقول :

— ربَّاه !! إننا لن ننتظر حتى الصباح الباكر .

نظر (أدهم) إلى حيث تعلَّقت عيناها ، ولم يلبث أن ابتسم فى تهكُّم ، عندما وقع بصره على زميله المقدم (حازم عبد الله) ، الذى استند بظهره إلى مقدمة سيارة سوداء فارهة ، ذات زجاج معتم ، ولوَّح لهما بكفِّه دون أن يبتسم ..

تجاهل الاثنان الأوتوبيس الخاص ، الذى يقل المسافرين إلى صالة الجمارك بالمطار ، وتوجَّها نحو سيارة (حازم) التى تقبع بجوار ممر الهبوط .. وصافحه (أدهم) ، وهو يقول فى سخرية :

ــ لا ريب أن الأمر أخطر من المهام السابقة ، حتى تخاطر إدارة المخابرات بإحضارى بمثل هذه الصورة الواضحة .. أراهنك أن كل رجل فى المطار الآن ، قد خمَّن أننا نعمل فى المخابرات .

صافحه (حازم) بجدِّيَّة ودون أن يبتسم لدعابته ، ثم قال وهو يفتح السيارة :

ــ فى جعبتى أكثر من مفاجأة يا زميلى العزيز .

لم يكد (أدهم) ينحنى لينظر داخل السيارة ، حتى اتسعت عيناه دهشة ، ولكنه أسرع يدخل إليها ، وتبعته

(منى) ، التى كادت تصرخ من شدة المفاجأة والانفعال .. وأغلق (حازم) السيارة خلفهما ، وظل هو خارجها وهو يشعل سيجارة فى توتُّر واضح ، ويختلس النظر حوله .. فبداخل هذه السيارة السوداء المعتمة النوافذ ، كان يجلس مدير المخابرات المصرية بنفسه ..

عجزت (منى) عن النطق تمامًا ، على حين قال (أدهم) فى احترام واهتمام وتعجب :

ــ سيِّدى !! إنها المرة الأولى التى تخرج فيها سيادتك بنفسك لإحدى المهام .

أشعل مدير المخابرات سيجارته ، وقال فى اهتمام :

ــ ربما لأنها أخطر مهمة تواجه مخابراتنا منذ أن تولَّيت منصبى يا (ن ــ ١) .. بل إننى لا أبالغ حين أقول إنها مهمة تواجه مخابرات دول العالم بأكملها ؛ لأن الخطر فى هذه المرة يواجهنا جميعًا .

تبخَّرت الرغبة فى النوم من رأس (منى) ، فور سماعها هذه العبارة ، وللهجة التى تحدث بها مدير المخابرات ،

وأصغى (أدهم) بسمعه ، وقد بلغ منه الاهتمام مبلغه ، على حين تابع مدير المخابرات قائلًا :

ــ أمس فقط تحطَّمت المدمرة (فجر) ، التابعة لأسطولنا الحربى أمام ساحل الصومال ، وعلى بعد عشرين ميلًا بحريًّا منه .. تحطَّمت تمامًا بفعل ....

وصمت لحظة ليتيح لهما فهم عبارته جيدًا ، ثم استطرد فى لهجة تعبِّر عن مدى خطورة الأمر :

ــ بفعل قنبلة ذرية .

اتسعت عيونهما دهشة وانفعالًا ، وقال (أدهم) فى توتُّر لم يعهده فى نفسه مطلقًا :

ــ وهل يستحق تدمير مدمرة واحدة ، استخدام قنبلة ذرية يا سيِّدى ؟

هزَّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وقال :

ــ الأمر لا يستحق ذلك فى الواقع يا (ن ــ ١) ، ولكنه نوع من التهديد أو الإنذار الواضح ، تعمَّد صاحبه أن يجعله فى صورة لا تدع مجالًا للشك فيما ينتويه .

ثم صمت لحظة وعاد يقول :

ــ وهذا ليس الحادث الأول يا (ن ــ ١) .

زوَى (أدهم) ما بين عينيه فى دهشة ، وشهقت (منى) ، على حين استطرد المدير :

ــ إنه الحادث الخامس من نفس النوع وبنفس الأسلوب ، كما أكدت لنا الاتصالات الدولية ، فلقد تم تدمير مدمرتين أمريكيتين ، وواحدة سوفيتية ، وأخرى إنجليزية على مدى يومين فقط .

قال (أدهم) فى هدوء يحسد عليه :

ــ ومن المتسبِّب فى ذلك يا سيِّدى ؟

هزَّ مدير المخابرات كتفيه ، وقال :

ــ لا أحد يعلم يا (ن ــ ١) .. كل ما أمكن معرفته بعد اتصالات واسعة ومركزة ، هو أن تلك الطائرة الصغيرة التى تسبَّب فى حدوث ذلك ، من النوع الآلى القيادة ، تنطلق عن طريق التحكُّم البعيد ، وأنها قد بدأت رحلتها من أحد المناطق المجهولة فى (كندا) أو (ألاسكا) .

سأله (أدهم) فى انفعال :

ــ لماذا يحدث ذلك إذن ؟

أخرج مدير المخابرات من سترته ورقة ، ظنها (أدهم) فى البداية مجرد برقية لصغر حجمها ، إلى أن قال مدير المخابرات وهو يقرأ ما خطّ عليها :

ــ لقد تلقت حكومات دول العالم أجمع برقية مختصرة للغاية ، ولكنها تفضح الهدف من هذه الأحداث بالغة العنف والإجرام .. وهذه البرقية تقول :

« السلام الشامل أو الدمار للجميع » .. الإمضاء/ قائد الطائرة الذرية .

لم يستطع (أدهم) كبح لهجته الساخرة ، وهو يقول :

ــ محاولة جديدة لفرض السلام العالمى بالقوة .. يا للتعارض السخيف !

وقالت (منى) من وسط دهشتها العارمة :

ــ إن ذلك يشبه ما يحدث فى أفلام (جيمس بوند) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية لعبارتها التافهة ، على حين مطّ مدير المخابرات شفتيه فى ضيق ، مما دفع بالدماء الحارّة

إلى وجنتيها ، وقد ملأها الخجل ، ومن حسن حظها أنهما تجاهلا عبارتها ، فلم يعلّق أحدهما عليها ، وإنما أخرج مدير المخابرات من حقيبته مظروفًا ضخمًا ، ناوله إلى (أدهم) وهو يقول :

ــ سنتخلّى عن بعض قواعد الحذر هذه المرة لضيق الوقت ، وسأسلّمك هذا المظروف الذى يحوى كل المعلومات اللازمة عن الأمر ؛ لأنه من المفروض أن تسافر وزميلتك إلى (كندا) ، بعد ساعة واحدة من الآن .

تناول (أدهم) المظروف المنتفخ ، ودسّه فى سترته وهو يقول :

ــ هل هى عملية دولية يا سيّدى ؟ .. أعنى هل ستشترك مخابرات الدول جميعها فى البحث عن المسئول ؟

هزّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وقال :

ــ كنا نتمنّى ذلك يا (أدهم) ، ولكن يبدو أن العالم لن يتفق مطلقًا .. إن الـ (سى . آى . إيه) الأمريكية ، تريد الاستئثار بالأمر وتكتم ما لديها من معلومات ، على حين

نجد المخابرات السوفيتية الـ (كى . جى . بى) ، روتينية وبطيئة للغاية .. أما المخابرات البريطانية فهى أكثر روتينية وتعقيدًا .. ولن يشترك مكتب مكافحة الجاسوسية الفرنسى فى الأمر .

ساد الصمت لحظة ، ثم قالت (منى) :

ـ إذن فالمطلوب منا هو أن نبحث عن المسئول ، ونوقف عمله يا سيّدى .

أكمل (أدهم) قائلًا :

ـ دون أى تعاون أو أية معلومات على الإطلاق .

أطفأ مدير المخابرات سيجارته ، وقال بجدّية :

ـ هذا قدرك يا (ن ـ ١) .. أن تتولّى المهام الخاصة التى لا تصلح إلّا لـ (رجل المستحيل) .

* * *

٣ ـ الكندى ..

لم تكد أقدام (أدهم) و (منى) تطأ أرض مدينة (مونتريال) الكندية ، حتى استقبلهما رئيس المكتب السرّى للمخابرات المصرية هناك ، اصطحبهما فى سيارته إلى الفندق الفخم الضخم ، الذى تقرّر إقامتهما فيه ، وفى الطريق قال :

ـ لقد اعتمدت الإدارة مبلغًا ضخمًا لهذه العملية الخطيرة أيها المقدم .. مبلغًا يربو على المليون دولار ، يمكنك الإنفاق بسعة ، ولقد تم وضع هذا المبلغ باسمك لتبدو كمليونير مصرى .

لم يستطع (أدهم) التغلّب على شعور الضيق ، الذى راوده وهو يستمع إلى ذلك ، فلقد اعتاد منذ فترة طويلة أن يقوم بوضع خطة العمل بنفسه ، وتنفيذها بالشكل الذى يحلو له ، ولكنه يعلم هذه المرة أن الأمر أخطر من أن يترك

لعقله وحده، ولهذا فقد تغلّب على شعوره، وسأل :

ـ هل تم جمع المعلومات اللازمة ؟

قال رئيس المكتب :

ـ لقد بدأنا تحرّياتنا اعتمادًا على بضع نقاط أساسية .. فالرجل الذى يمكنه صنع القنابل الذرية، وتحمل تكاليف إنتاجها الباهظة، والتضحية بعدة طائرات موجّهة، وإيجاد المكان اللازم لذلك، لابدّ أن يكون مليارديرًا لا مجرد مليونير، وأن يكون له من العمل ما يمثل تغطية لنشاطه السرّىّ، وبناء على ذلك انحصرت شبهاتنا فى رجلين فقط .. (آلان شيفاليه)، وهو مهاجر فرنسى قديم يعمل فى صناعات الصلب، ويعد أغنى أغنياء (كندا)، وربما أغنى أغنياء العالم أجمع .. وهو فى الخامسة والأربعين من عمره، وإن بدا على ملامحه أنه أكبر من ذلك قليلاً .

صمت رئيس المكتب لحظة ليزدرد لعابه، ثم تابع :

ـ والثانى هو (چورچ شيلدون)، صاحب أكبر مصانع للبلاستيك فى العالم، وهو مهاجر إنجليزى قديم،

يملك جيشًا من الحرس الخاص، وجهازًا دفاعيًا قويًا، يحيط بقصره الضخم فى العاصمة (أوتاوا) .

كانت السيارة قد وصلت فى تلك اللحظة إلى الفندق، فأسرع رئيس المكتب يفتح باب السيارة لـ (أدهم) و (منى)، متظاهرًا بأنه سائق خاص، وهمس فى أذن (أدهم) :

ـ سأعود إلى المكتب بسيارة أجرة، وسنترك لك هذه السيارة الفاخرة يا (ن ـ ١) .. وفقك الله .. إننا نعلم مدى صعوبة المهمة الملقاة على عاتقك وزميلتك، ويؤلمنا أن ظروف العمل تضطرنا إلى تركك بمفردك .

ربّت (أدهم) على كتفه وهو يبتسم، وتطلّعت إليه (منى) بنظرة امتنان، ثم غادراه وكل منهما يفكّر فيما ينتظرهما فى اللحظات والأيام القادمة ..

* * *

التقى (أدهم) و (منى) بعد ساعة واحدة فى الملهى الفاخر الملحق بالفندق، وابتسم كل منهما من مرأى

الآخر .. ظهرا غاية فى الأناقة ، إذ ارتدى (أدهم) حُلّة سوداء أنيقة ، وقميصًا حريريًا تبرق فيه خيوط فضية رفيعة ، ورباط عنق صغيرًا أسود ، وصفف شعره بعناية ، واشتركت وسامته الطبيعية وابتسامته الجذابة فى إضفاء مظهر رائع عليه ، يحسده عليه نجوم السينما ..

أما (منى) فقد ارتدت ثوبًا فضفاضًا أبيض اللون ، يضيق عند خصرها بحزام عريض ذهبى ، ويهبط حتى يلامس كعبيها وحذاءها الفضىّ الأنيق ، وصفّفت شعرها بتناثر يشبه غجريات (أسبانيا) ، وزيّنت جيدها بعقد ماسىّ برّاق ، وتدلّى من أذنيها قرطان رائعان ، تنعكس عليهما أضواء الملهى ، فيبرقان ببريق أخّاذ ..

مال (أدهم) على أذن (منى) ، وهمس :

ــ يا للرّوعة !! لقد كدت أخطئك يا عزيزتى .. إنك تظهرين كأميرات الأساطير القديمة .

احمر وجهها خجلًا ، وهمست فى حياء :

ــ بل أنت الذى تبدو كنجوم السينما ، يا سيادة المقدم .

ضحك (أدهم) فى سخرية ، وقال :

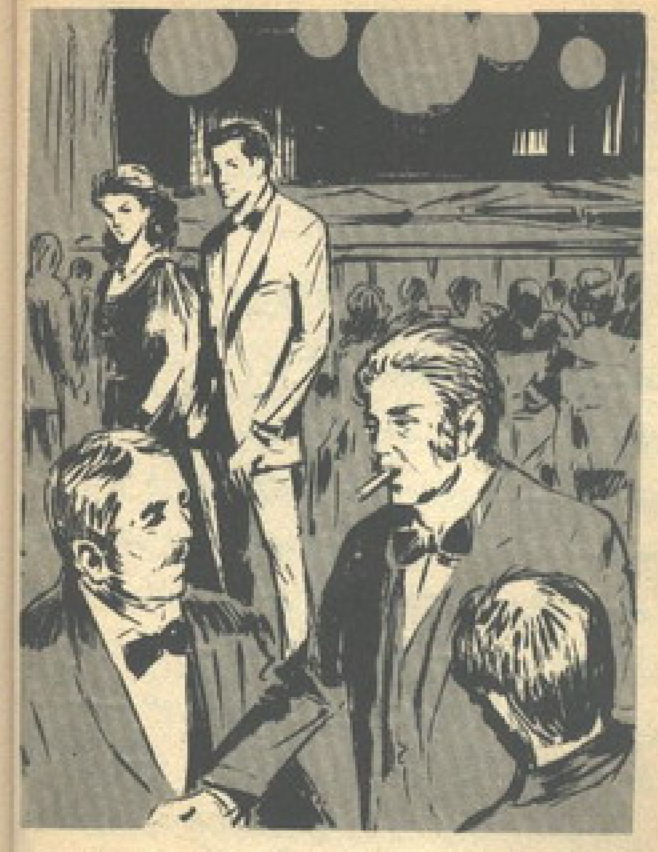
ــ تُرى ، هل يلفت ذلك انتباه أى من الرجلين يا عزيزتى ؟

اختلست (منى) النظر إلى أرجاء (صالة) الملهى ، ثم سألت :

ــ هل وصل أحدهما ؟

أشار (أدهم) من طرف خفىّ إلى رجل متوسط الطول ، عريض الصدر ، نحيل الخصر والساقين ، له وجه مربع يبدو فى الخمسين من عمره بشعره الأشيب ، الذى يغطى معظم فوديه وعينيه الجاحظتين ، اللتين أحاطت بهما هالات سوداء ، تنم عن عدم انتظام النوم وعن السهر الزائد ، وظهرت التجاعيد حول أنفه وفمه ، بشكل لا يناسب عمره ، برغم وجهه الحليق ، وذقنه العريضة ، وأنفه المستقيم .. وكان الرجل يمسك بين أسنانه بسيجار فخم ، وهو يتحدث إلى المحيطين به ، وقال (أدهم) :

ــ ها هو ذا صديقنا (آلان شيفاليه) يا عزيزتى ..



أشار (أدهم) من طرف خفىّ إلى رجل متوسط الطول ، عريض الصدر ، نحيل الخصر والساقين ..

لقد اعتاد بحسب معلوماتنا على بعثرة أمواله على موائد القمار هنا ، والعجيب أنه يربح بصورة شبه مستمرة .

رفعت (منى) حاجبيها فى دهشة ، وقالت :

— عجبًا .. هل يحالفه الحظ إلى هذه الدرجة ؟

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

— إنه ليس الحظ يا عزيزتى .. نستطيع أن نقول إنها الرغبة فى الفوز ، فهو يملك المكان .

نمَّت نظرات (منى) عن الدهشة البالغة ، مما دفع (أدهم) إلى الضحك وهو يقول :

— هناك من الناس من لا يحبون الخسارة ، إلى درجة أنهم يفتعلون الربح ، والجميع هنا يعلمون ذلك ، حتى أن المائدة التى يلعب عليها السيد (آلان) تخلو من سواه دائمًا .

زوَت (منى) ما بين حاجبيها محاولة استيعاب الأمر ، ثم قالت :

— وهل يأتى (چورچ شيلدون) إلى هنا أيضًا ؟

اتجهت أنظار (أدهم) إلى باب الملهى ، وقال فى لهجته الساخرة :

— ها قد وصل يا عزيزى .

التفت (منى) إلى حيث نظر (أدهم) ، فرأت رجلًا فى منتصف الستينات ، نحيل الوجه والجسم أشيب الرأس تمامًا ، له نظرات قوية متسلّطة ، حليق الوجه الذى تملؤه التجاعيد ، يرتدى حُلّة سهرة سوداء ، ويحيط به عدد من الرجال الأقوياء ضخام الجثة ..

ترك (آلان شيفاليه) مائدته ، وتوجّه نحو (چورچ شيلدون) ، وقد وضع يده اليمنى فى جيب سترته كما هى عادته ، ومدّ يسراه أمامه قائلًا فى مرح مصطنع :

— مستر (چورچ شيلدون) فى ملهاى .. يالى من محظوظ !!

زمجر (چورچ) زمجرة خافتة ، وقال من بين أسنانه :

— كفى تزلّفًا يا مسيو (شيفاليه) .. إننى أحضر إلى هنا يوميًا ، وأنت تقابلنى بنفس العبارة دومًا .

ابتسم (آلان) ابتسامة خبيثة ، ومدّ رقبته إلى الأمام وهو يقول :

— إننى أحاول التظاهر بالودّ والصداقة ، حتى أتمكّن من تحطيم إمبراطورية البلاستيك التى تمتلكها ، والسيطرة على سوق الاقتصاد الكندى .

ابتسم (شيلدون) ابتسامة شاحبة ، وقال :

— من يدرى يا عزيزى (شيفاليه) ، ربما أكون أنا السبّاق إلى ذلك .

ضحك (شيفاليه) ضحكة عالية ، وربّت على كتف (چورچ) ، وهو يقوده إلى مائدته الخاصة .. وهنا التفت (أدهم) إلى (منى) ، وقال :

— من الواضح أن الثعلبين أصدقاء يا عزيزتى .

قطّبت (منى) حاجبيها ، وهى تقول :

— تُرى ، أيهما صاحب خطة السلام المفروض بالقوة ؟

تأمّل (أدهم) الرجلين فترة ، ثم هزّ رأسه ، وقال :

— لا يمكننى الجزم أيهما المسئول يا عزيزتى ، ولكننى أعتقد أننى قد كوّنت فكرة ما .

سألته (منى) فى لهفة :

ــ إن آراءك صائبة دائمًا يا (أدهم) .. أخبرنى .. من منهما أثار شكّك .

عاد (أدهم) يتأمّل الرجلين لحظة ، ثم قال :

ــ إن الرجل الذى يتحدّى دول العالم أجمع ، لابدّ أن تكون لديه القوة والثقة بالنفس ليفعل ذلك يا عزيزتى ، وأن يكون لديه الذكاء الكافى ليخفى ما يفعله عن الأنظار ، ولن يحيط نفسه بجيش من الحرس الخاص بصورة واضحة استفزازية ، كما يفعل (جورج شيلدون) .. ثم إن صناعة الصلب تحتاج إلى مساحات أكبر بكثير من صناعات البلاستيك ، ويمكن إخفاء مفاعل نووى كامل داخل مصنع للصلب .

سألته (منى) فى انفعال :

ــ إذن فأنت تعتقد ..

قاطعها قائلًا فى ثقة وهدوء :

ــ بل أجزم يا عزيزتى بصورة غير رسمية ، إن رجلنا هو الملياردير الكندى الفرنسى الأصل (آلان شيفاليه) .

* * *





٤ ــ أنياب الشيطان ..

غادر (آلان شيفاليه) ملهاه فى الثانية والنصف صباحًا ، فصافح (چورج شيلدون) وداعبه بعدة عبارات ساخرة ، ثم استقل سيارته ، انطلق بها نحو قصره الأنيق فى منتصف المدينة ..

ولم تكد السيارة تقطع بضع عشرات من الأمتار ، حتى التفت (آلان) يتطلّع بقلق من زجاجها الخلفى ، ثم قال لسائقه :

ــ زِدْ من سرعتك يا (موريس) ، فهناك سيارة تتبعنا منذ غادرنا الملهى .

قطّب (موريس) حاجبيه ، وهو ينظر إلى مرآة سيارته ، ثم تمتم :

ــ أنت محقّ يا سيّدى .. لعلهما من رجال الشرطة .

ثم زاد من سرعة سيارته ، ولكن السيارة الأخرى استمرت فى مطاردتها وهى تزيد من سرعتها بقدر يسمح لها

بالمحافظة على المسافة بين السيارتين .. وأخيرًا قال (موريس) فى غضب :

ــ هل تسمح لى بتلقين ركاب هذه السيارة المطاردة درسًا يا سيّدى ؟

تردّد (آلان) لحظة ، ثم قال :

ــ حسنًا يا (موريس) ، ولكن أغلق السيارة ، واحرص على أن تكون نوافذها المضادة للرصاص مرفوعة .

أوقف (موريس) السيارة بغتة ، وهبط منها ، ثم أغلقها خلفه فى هدوء ، وأحكم إغلاقها لكى يطمئن على سيّدة الجالس بداخلها ، ثم وقف إلى جوارها ، وعقد ساعديه أمام صدره ، فى تحدٍّ ، وقد برزت عضلاته الفولاذية بشكل واضح ، على الرغم من سترته السميكة ..

توقّف (أدهم) بسيارته على بعد خطوات من سيارة (آلان شيفاليه) ، وهبط منها فى استخفاف ، ثم تقدّم من (موريس) وسأله بلهجته الساخرة :

ــ لم توقّفت يا صديقى ؟ هل تحتاج إلى مساعدة من نوع ما ؟

كان (آلان) قد شعر بالاطمئنان ، حينما وقع بصره على السيارة الأخرى ، وعلم أنها لا تضم سوى رجل وفتاة ، فاستكان فى مقعده ، وأشعل سيجارًا فخمًا ، وجلس ينفث دخانه فى هدوء واستكانة ، مطمئنًا إلى أن (موريس) بعضلاته الفولاذية قادر على تحطيم الرجل تمامًا ..

اقترب (أدهم) بخطوات غير مبالية من (موريس) ، برغم أنه لاحظ جيّدًا عضلاته الفولاذية البارزة ، إلّا أن ابتسامته الساخرة لم تفارق شفتيه ، وهو يزداد اقترابًا ويقول فى تهكّم :

ــ إنك لم تُجب عن سؤالى يا صديقى .. هل أنت أصمّ ، أم أن لغتى لا تبدو مفهومة لك ؟

زمجر (موريس) بغضب ، ثم فرد عضلاته الفولاذية ، ووجّه لكمة ساحقة إلى فكّ (أدهم) ، الذى انحنى إلى اليسار ، وغاص إلى أسفل متفاديًا اللكمة ، ثم عاد وفرد قامته فى سرعة مذهلة ، موجّهًا قبضته إلى فكّ (موريس) ، فى لكمة قوية لم ينتظرها هذا الأخير ، فاختل توازنه وسقط

على مؤخرة السيارة ، وتطلع إلى (أدهم) فى دهشة عارمة ، وسمعه يقول فى سخرية :

ــ عجبًا !! هل تقابل كل من يعرض عليك المساعدة ، بهذا الأسلوب العدوانى أيها الوغد ؟

اتسعت عينا (آلان شيفاليه) من المفاجأة ، وهو يتطلع إلى قامة (أدهم) الرياضية الممشوقة ، من خلال زجاج النافذة الخلفى ، ومد يده يقبض على مسدسه المختفى داخل جراب سرى فى سترته .. أما (موريس) فقد زمجر مرة أخرى فى حنق ، وقفز واقفًا وهو يرسل بنظرات شرسة وحشية إلى عين (أدهم) ، الذى ابتسم فى سخرية وقال :

ــ أما زلت عدوانيًا يا صديقى ؟

خرجت (منى) من السيارة ، واستندت إليها فى هدوء وهى تراقب الموقف .. كانت واثقة تمامًا من نتيجة المعركة ، بعد الفترة الطويلة التى عملت خلالها مع (أدهم صبرى) ، المعروف باسم (رجل المستحيل) ..

قفز (موريس) مرة أخرى نحو (أدهم) ، وكال له لكمة قوية بيمناه ، تلقاها (أدهم) فى بساطة على ساعده

الأيسر ، ثم اندفع بقبضته اليمنى لتغوص فى معدة (موريس) ، وأعقبها بلكمة قوية فى فك هذا الأخير ، عادت لتلقى به مرة ثانية على مؤخرة السيارة ، وقد سال خيط من الدم الأحمر القانى من طرف شفتيه .

قفز (آلان شيفاليه) من السيارة ، وصوب مسدسه إلى المتصارعين ، وهو يقول بلهجة آمرة غاضبة :

ــ كفى .. إنى آمركما بالتوقف عن القتال .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وعدل من سترته ، وأعاد خصلة متهدلة فوق جبينه إلى رأسه ، وهو يقول :

ــ عجبًا .. هل تتصرفون بهذه الطريقة العدوانية دائمًا مع الغرباء ؟

قال (آلان) فى حدة :

ــ لم كنت تتبع سيارتنا أيها السيد ؟

تظاهر (أدهم) بالدهشة وهو يقول :

ــ أتبع سيارتك ؟! .. يبدو أنك تكثر من مشاهدة الأفلام البوليسية يا صديقى .. إنما أنا أسترشد بسيارتك ؛



واعقبها بلكمة قوية فى فك هذا الأخير ، عادت لتلقى به مرة ثانية على مؤخرة السـيارة ..

لأننى أجنبى ، وهـذه هى المرة الأولى التى أزور فيـا (مونتريال) ، والوقت متأخر كما ترى و ....

قاطعه (آلان) ، وهو يقول بصوت متشكك :

ــ تسترشد بسيارتى فقط ؟!

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ وماذا كنت تظن إذن ؟ .. هل ترانى متنكرًا بشارب ضخم ونظارة سوداء ، كما يحدث فى أفلام المخابرات ؟

مرت فترة من الصمت ، نهض فيها (موريس) ووقف إلى جوار (آلان) فى تحدٍّ صامت ، وتحركت فيها (منى) حتى وقفت إلى جوار (أدهم) ، وأخيرًا ابتسم (آلان) وقال :

ــ معذرة يا سيدى .. إنه مجرد سوء تفاهم .

صاح (موريس) فى غضب :

ــ إنه مخادع يا سيدى .. سَلْهُ لِمَ أوقف سيارته بمجرد أن أوقفنا سيارتنا ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال فى لهجة تجمع ما بين السخرية والتحدى :

ـــ لأنك أوقفت سيارتك بغتة وبحماقة ، فخيّل إلىّ أن عطلًا أصابها ، وعرضت المساعدة .

زمجر (موريس) غير مصدّق ، ولكن (آلان) أوقفه قائلًا :

ـــ كفى يا (موريس) .. سنقود هذا السيّد إلى حيث يريد الوصول .

ثم التفت إلى (أدهم) ، وقال :

ـــ فى المرة القادمة لا تحاول تتبع أية سيارة أيها السيّد .. من يدرى ؟ ربما كان نصيبك فى المرة القادمة رصاصة قاتلة .

* * *

أشرقت شمس الصباح على (أدهم) و (منى) ، وهما يواصلان مناقشتهما داخل سيارتهما .. كانت (منى) تقول :

ـــ لست من رأيك يا سيادة المقدم .. معذرة .. ولكننى أظن أن محاولة (آلان شيفاليه) وسائقه لاعتراض

طريقنا ، حينما ظنا أننا نتعقبهما ، ليست دليلًا قاطعًا على أن (شيفاليه) هو الرجل الذى يهدّد جميع دول العالم الكبرى .

هزّ (أدهم) كتفيه فى غير مبالاة ، وقال :

ـــ أنت وشأنك أيتها النقيب ، ولكننى سأتبع ذلك الهاتف الغامض فى داخلى .. إنه يقول إننا نسير فى الطريق الصحيح .

قطّبت (منى) حاجبيها ، وقالت :

ـــ منذ متى يعتمد عمل المخابرات على الشعور الداخلى يا سيّدى ؟

أجابها بجفاء وهو يدير محرّك سيارته :

ـــ منذ عملت أنا فى المخابرات المصرية أيتها الملازم .

صاحت فى حنق :

ـــ يا لك من مغرور !!

ثم تنبّهت إلى فارق الرتب بينهما ، فقالت معتذرة :

ـــ معذرة يا سيادة المقدم .. لقد ....

أجابها فى سخرية ، وهو يقود السيارة :

ـ لا عليك أيتها النقيب .. المهم أن نستعد للجولة الثانية .

قطّبت ما بين عينيها فى تفكير ، وسألته :

ـ وكيف تظنها ؟

أجابها فى بساطة :

ـ لو أن (آلان شيفاليه) هو الرجل المنشود ، فلن يترك الأمر يمر بهذه البساطة ، فلن يلبث أن يجمع تحرّياته عنا ، وما أن يتأكد من أننا نقيم فى نفس الفندق الذى يعلو الملهى ، وأنه لم يكن هناك مبرر لتتبعنا إيّاه ، حتى يفهم طبيعة عملنا ، ويبدأ فى محاولة إقصائنا عن طريقه أيتها النقيب .

صاحت فى غضب ممزوج بالدهشة :

ـ يا للروعة .. !! .. هل تسعى إلى إثارته ضدنا ؟

ضحك فى سخرية ، وقال :

ـ نعم أيتها النقيب .. إننى أحاول دفع الشيطان إلى كشف نفسه ، بإبراز أنيابه السامّة .

* * *



٥ ـ صراع المخابرات ..

راقب (آلان شيفاليه) شروق الشمس فى شرفة قصره ، وأشعل سيجارًا فخمًا أمسك به بين أسنانه ، وقد عقد كفيه خلف ظهره ، وارتدى (روبًا) منزليًا حريريًا فوقه قميص ، ثم التفت فور سماعه صوت خطوات (موريس) ، وتطلّع إليه فى تساؤل ، فقال هذا الأخير :

ـ لقد كنت محقًا يا سيّدى .. إن هذا الرجل والفتاة المصاحبة له ، يقيمان فى نفس الفندق ، وهما مصريّان .

قطّب (آلان) حاجبيه بشكل زاد من جحوظ عينيه ، وهو يقول :

ـ إذن فقد بدأت المخابرات المصرية تحرّكاتها مبكّرًا .. لقد كنت أظن أن الخطوة الأولى ستكون للأمريكيين أو السوفيت .

قال (موريس) فى اهتمام ، وهو يتابع سرد المعلومات التى لديه :



ـ لقد نزل الرجل فى الفندق تحت اسم (أدهم صبرى) ، وزميلته تحمل اسم (منى توفيق) ، وهما يقيمان فى جناحين منفصلين .

زوَى (آلان) ما بين عينيه وهو يتمتم :

ـ (أدهم صبرى) ؟!! .. يخيّل إلىّ أننى قد سمعت هذا الاسم قبلًا .. ولكن أين ؟ .. ومتى ؟ ..

قال (موريس) فى عجلة ولهفة :

ـ هل نعمل على تصفيتهما يا سيّدى ؟

أشار (آلان) بكفّه علامة الرفض ، وقال فى هدوء :

ـ لن نضيع وقتنا فى مثل هذه التفاهات يا (موريس) .. سنترك مثل هذه الأمور الروتينية لشريكى العزيز .

ثم رفع سماعة الهاتف ، وطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه الذى شابه النعاس ، حتى قال فى هدوء :

ـ سعدت صباحًا يا مستر (شيلدون) .. نعم أعلم كم هى الساعة الآن ، ولكن الأمر هام .. لقد

تدخّلت المخابرات المصرية لإعاقة خطتنا المشتركة لفرض السلام العالمى ، وسأترك لك مهمة تصفية رجالها ..

* * *

تناولت (منى) آخر رشفة من كوب القهوة المركزة الذى تحمله بين كفّيها ، ثم فركت عينيها لتتغلّب على النعاس ، وقالت :

ـ يتملكنى الحنق كلما تذكرت ، كم كنت أشعر بالرغبة فى النعاس حين عودتنا من (استانبول) .

ضحك (أدهم) ، وقال :

ـ هكذا الدنيا يا عزيزتى .. لا تعطى أبدًا من يريد .

ابتسمت وهى تتطلّع إلى روّاد الفندق ، وقالت :

ـ هل تحوّلت إلى فيلسوف يا سيادة المقدم ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهمّ بالتعقيب على عبارتها ، عندما سمع كلاهما صوتًا مألوفًا ساخرًا يقول :

ـ إن (أدهم صبرى) فيلسوف دائمًا أيتها الزميلة .

استدار الاثنان بحدّة إلى مصدر الصوت ، واتسعت عينا (منى) دهشة وذهولًا ، على حين ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال وهو ينهض من مقعده :

ـــ يا للمصادفة السعيدة !! إنها عزيزتنا (سونيا جراهام) .

كانت (سونيا جراهام) ، فتاة (الموساد) الجميلة الشرسة ، تبدو فى أوج جمالها وأناقتها فى تلك اللحظة ، حتى أن أنظار روّاد الفندق جميعهم كانت تطالعها فى إعجاب وحسد ، وهى تجلس فى هدوء على المقعد المجاور لـ (أدهم) ، وقد تألّق حسنها حتى طغى على جمال آلهة الإغريق ، وقال (أدهم) متهكّمًا :

ـــ لم أتوقّع مطلقًا أن نتقابل هنا يا عزيزتى (سونيا) .. هل أقحمت دولتك نفسها فى اللعبة ؟

أشعلت (سونيا) سيجارتها فى أناقة ، وقالت من بين شفتيها الجميلتين :

ـــ توقّف عن سخريتك هذه المرة يا مستر

(أدهم) ، فنحن نعمل فى جانب واحد ، ضد الرجل الذى يحاول السيطرة على العالم .

رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وقال :

ـــ أى رجل هذا يا عزيزتى (سونيا) ؟

ابتسمت (سونيا) فى مكر ، وقالت :

ـــ نفس الرجل الذى تسبّب فى تدمير المدمرة المصرية (فجر) أيها الشيطان المصرى ، والذى أرسل خطابات إنذار إلى جميع دول العالم المتقدمة ، يطلب منهم إلقاء جميع الأسلحة النووية فى البحر ، وإلّا دمّر مدنهم بقنابله الذرّية .

تراقصت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ يا لها من قصة مثيرة !! إنها تصلح فيلمًا سينمائيًا رائعًا يا عزيزتى (سونيا) ..

ظهر الغضب على محيّاها الجميل ، وهى تميل نحوه قائلة :

ــ لن تنجح فى خداعى أيها الشيطان المصرى .. نحن نعلـم أنك توصَّلت إلى الرجل .. من هو يا مستـــر (أدهم) ؟

تظاهر (أدهم) بالتفكير ، ثم قال فى لهجة ظاهرها الجدِّية :

ــ حسـنًا يا عزيزتى (ســونيا) ، ســأخبرك بكل شىء .. إنه المجرم الدولى الخطير (توم صوير) .

مالت إلى الأمام وهى تردِّد فى جدِّية :

ــ (توم صوير) ؟! .. هل هو .. ؟

ثم بترت عبارتها فجأة وتراجعت فى حنق ، عندما تنبَّهت أن هذا الاسم هو مجرد اسم أشهر قصص المؤلف الشهير (مارك توين) ، وأطفأت سيجارتها فى غيظ ثم نهضت قائلة :

ــ حسنًا يا مستر (أدهم) .. لقد عرضنا تعاوننا ورفضته أنت ، وستندم لذلك .

ضحك (أدهم) ، وقال :

ــ لا يمكنك وضع القط والفأر فى سلَّة واحدة ، دون أن يلتهم أحدهما الآخرَ يا عزيزتى .

نظرت إليه فى غضب ، ثم غادرته وهى تتمتم بعبارات ساخطة ، ولم تكد تختفى عن بصره حتى نهض من مقعده ، وقال لزميلته :

ــ هيَّا أيتها النقيب .. سنضطر إلى الإسراع قبل أن تعمل (سونيا) على مهاجمتنا بدورها .

تبعته (منى) إلى سيارتهما ،. وهى تقول :

ــ هل تظن أنها ستترك المهمة الرئيسية ، وتعمل على محاربتنا ؟

أجابها وهو يفتح باب السيارة :

ــ لا يمكنك توقُّع أسلوب هذه الحيَّـــة الشرسة يا عزيزتى .. إنها فرصتها لكى ....

وبتر عبارته فجأة ، عندما شعر بفوَّهة مسدس ضخم تلتصق بجانبه ، ورأى عددًا من الرجال ضخام الجثة ، يحيطون بزميلته ، وسمع صوتًا ضخمًا أجشَّ ، يقول بإنجليزية ركيكة :



ثم غادرته وهى تتمتم بعبارات ساخطة ، ولم تكد تختفى عن بصره حتى نهض من مقعده ..

ـ ستستعمل سيارتنـا نحن هذه المرة يا مستـر (أدهم) .

* * *

تصوَّر (أدهم) للوهلة الأولى ، وهو يسير نحو سيارتهم الضخمة ، أنهم رجال (آلان شيفاليه) ، ولكنه لم يكد يستقر على مقعدها الخلفى ، بين رجلين ضخمين يصوِّبان مسدسيهما إلى رأسه ، حتى تنبَّه إلى وجوههم الحمراء المكتظة ، وعيونهم الضيقة الزرقاء ، ولغتهم الركيكة ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى سخرية ، حينما سمع الرجل الذى يجلس أمامه ، وهو يقول لسائق السيارة فى لهجة جامدة وباللغة الروسية :

ـ بسرعة إلى الفيلا يا (كاريموف) .

انطلق الرجال فى سيارتين متتابعتين ، وقد جلس (أدهم) فى إحداهما ، وجلست (منى) فى الأخرى .. واسترخى (أدهم) فى هدوء ، غير مبالٍ بفوهتى المسدسين الملتصقتين برأسه ، وقال باللغة الروسية وبلهجة سليمة تمامًا أدهشت الجميع :

ـــ هل تناصبنا المخابرات السوفيتية العداء أيها الزملاء ؟

ولكن أحدهم لم يُجب تساؤله ، واستمرت السيارتان فى سيرهما فى غلاف من الصمت المطبق ، حتى وصلتا إلى ڤيلا منعزلة فى الطريق ما بين (مونتريال) و العاصمة (أوتاوا) .. وهناك توقفتا وهبط الجميع منهما ، وسار (أدهم) و (منى) بين الرجال إلى داخل الڤيلا ، حيث قابلهما رجل ضخم الجثة ، عريض المنكبين ، أزرق العينين ، غليظ الوجه ، مدّ يده يصافحهما قائلًا :

ـــ مرحبًا بكما فى مقرنا المؤقت ، أيها الرفيق (أدهم صبرى) ، وأيتها الرفيقة (منى توفيق) .

أومأت إليه (منى) برأسها فى قلق ، على حين تجاهل (أدهم) اليد الممدودة إليه ، وقال وهو يجلس دونما استئذان على أقرب المقاعد إليه :

ـــ هل اعتدتم التعامل مع المخابرات الصديقة بهذا الأسلوب ؟

ابتسم الرجل الضخم ، وقال :

ـــ أقدّم نفسى أولًا .. الرفيق الجنرال (إيڤان عظيموف) من الـ (كى . جى . بى) ، أو المخابرات السوفيتية كما لا يخفى عليكما .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى تحدٍّ :

ـــ لست أجد فى نفسى الرغبة لردّ تحيتك .

ظهر الغضب على وجه الجنرال (عظيموف) ، ثم قال :

ـــ سأتغاضى عن أسلوبك الفجّ ، نظرًا للظروف أيها الرفيق (أدهم) .. ولكن تذكر أننا نعمل جميعًا فى جانب واحد .

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال فى استهتار :

ـــ سأملّ سماع هذه العبارة قريبًا .

ضغط الجنرال (عظيموف) على شفتيه غيظًا ، وقال :

ـــ لقد بدأت المخابرات المصرية عملها قبلنا بيوم واحد أيها الرفيق ، ونحن على علم بمهارتك وأسلوبك الخاص فى

العمل ، منذ اقتحمت بلادنا وأسقطت طائراتنا[1] ؛ ولهذا فإننا لا نشك لحظة فى أنك قد توصَّلت إلى الرجل المنشود .. ومن أصول التعاون أن تخبرنا باسمه توفيراً للوقت .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ كان سيسعدنى ذلك ، لو أنكم انتهجتم وسيلة أخرى أكثر لطفًا لإحضارنا ، أيها الزميل (عظيموف) .

ظهر الغضب على وجه الجنرال الروسى ، وقال فى حنق :

ـ اسمع أيها الرفيق (أدهم) .. أنت تعلم جيِّدًا أن بلادنا فى خطر ، وعمل المخابرات لا يحتوى فى قاموسه على كلمات المجاملة أو الصبر ، ولو أنك لم تخبرنى بما أريد راضيًا ، سأنتزعه منك بالقوة .

أشار إليه (أدهم) بسبَّابته ، وقال :

(١) راجع قصة (الجليد الدامى) .. المغامرة (رقم ٥) .

ـ خطأ يا زميلى العزيز .. إن مخابرات الدول الصديقة لا تتعامل بهذا الأسلوب .. ما أدراك أن رجال مخابراتنا لم يتبعوا سيارتكما إلى هنا ؟ .

ضحك الجنرال (عظيموف) فى سخرية ، وقال :

ـ إنك تحاول خداعى بأسلوب لا يصلح للأطفال أيها الرفيق المصرى .

ولدهشته ولدهشة (أدهم) و (منى) ، قال أحد الرجال الواقفين وهو يرفع عن أذنه جهازًا لاسلكيًا صغيرًا :

ـ يبدو أنه صادق أيها الرفيق الجنرال ، فلقد تركنا (كاريموف) لحراسة الطريق ، ولقد تلقَّيت منه رسالة الآن يقول فيها : إن هناك ثلاث سيارات كبيرة تقترب ، وعلى متنها عدد لا بأس به من الرجال المسلحين .

* * *

٦ ـ الخطوة الأولى ..

برقت عينا الجنرال (عظيموف) ، وقال فى صرامة :

ـ لو أن هذه السيارت الثلاث توقَّفت هنا ،فسنتعامل معها على الفور ، وندمرها عن آخرها .

شعر (أدهم) بالحنق والغيظ ، فلقد كان هو الوحيد الذى يعلم أن هذه السيارات الثلاث تتبع رجال (آلان شيفاليه) ، أو أنه قد توقَّع ذلك على وجه الدِّقَّة ، فقال فى ضيق ، موجِّهًا حديثه إلى الجنرال (عظيموف) :

ـ إنك تفسد خطة منمَّقة بتسرُّعك هذا يا زميلى .

قال (عظيموف) فى غضب :

ـ وأنت ترفض التعاون أيها الرفيق .

دار (أدهم) ببصره فى أنحاء الغرفة الواسعة ، ودرس الموقف بسرعة .. كان عدد الرجال فى الغرفة سبعة رجال ، بالإضافة إلى الجنرال (عظيموف) ، وكان اثنان منهما

يحيطان بـ (منى) ، واثنان خلفه ، والثلاثة الآخرون بجوار الباب ، على حين يقف (عظيموف) أمامه مباشرة ، فاعتدل فى وقفته ، وقال فى لهجته الساخرة :

ـ أمازلت مصرًا على إطلاق النار .

أجابه (عظيموف) فى صرامة وهو يرفع رأسه ، ويعقد كفَّيه خلف ظهره :

ـ كل الإصرار أيها الرفيق .

قال (أدهم) فى أسف :

ـ إنك لم تدع لى إذن مجالاً للاختيار .

ثم رفع ذراعيه فى آن واحد ، ولكم الرجلين اللذين يقفان خلف ظهره تمامًا .

* * *

عمل (أدهم) و (منى) معًا فترة طويلة ، ويمكننا القول بأن كلًّا منهما قد أصبح يفهم الآخر تمامًا ؛ ولذا فبمجرد أن تحرَّك (أدهم) تحرَّكت (منى) بدورها ، دون أن تسأل نفسها ما إذا كان ذلك الهجوم سليمًا من

الناحية السياسية أم لا ، فدارت على عقبيها ولكمت الرجل الذى يقف إلى يمينها بكل قوتها فى أنفه ، ثم مالت بجسدها ، وركلت الرجل الواقف إلى يسارها فى وجهه بكعب حذائها الحاد ، على حين قفز (أدهم) قفزة رائعة مذهلة ركل خلالها أحد الرجال الثلاثة إلى جوار الباب فى وجهه ، ثم هبط على قدميه ، وتحركت قبضتاه كالمدفع الرشاش على وجهى الرجلين الآخرين بلكمات متتالية قوية .

أسرع (عظيموف) نحو مسدسه ، ولكنه قبل أن يلمسه شعر به يطير إثر رصاصة مُحكمة من مسدس (منى) الصغير ، الذى لم يهتم أحد الرجال بتفتيش حقيبتها للعثور عليه ، فالتفت إليها فى دهشة ، وتصاعدت دهشته حينما رأى رجاله السبعة متناثرين على أرض الغرفة ، و (أدهم) و (منى) يصوّبان إليه مسدسيهما ..

قال (أدهم) فى سخرية :

ـــ وهل ستتزايد الأزمة ، لو أننى أطلقت النار على رأسك أيها الزميل ؟

عقد (عظيموف) ساعديه أمام صدره ، وفرد قامته وهو يقول فى تحدٍّ :

ـــ افعل أيها الرفيق ، فأنا لا أخشى الموت فى سبيل بلادى .

لم يستطع (أدهم) كتمان إعجابه بشجاعة الرجل ، واستهانته بالموت فى سبيل وطنه ، فأعاد مسدسه إلى سترته ، دون أن يأبه للرجال الذين نهضوا فى دهشة مما أصابهم ، وأشار إلى (منى) أن تحذو حذوه ، ثم جلس على مقعد مواجه للجنرال الروسى ، وقال فى هدوء وجدّية :

ـــ ما رأيك لو أننا تعاونا بجدّية إذن ، ما دمنا نسعى إلى هدف مشترك ؟

ابتسم (عظيموف) وأشار إلى رجاله ألا يلمسوا أسلحتهم ، وقال :

ـــ هذا ما عرضته سابقًا أيها الرفيق (أدهم صبرى) ، ولكن يبدو أننى كنت مخطئًا فى وسيلة العرض الأولى .. والآن ماذا تريد أن تقول ؟

* * *

توقَّفت السيارات الثلاث أمام الفيلا المنعزلة، وهبط منها خمسة عشر رجلًا مسلَّحًا، تلفتوا حولهم فى حذر، وهم يتساءلون عن السبب فى عدم اعتراضهم، بعد أن شاهدوا بأعينهم رجال الـ (كى . جى . بى) وهم يختطفون (أدهم صبرى) وزميلته، وتقدَّم بعضهم نحو السيارتين الخاليتين، وفحصوهما فى اهتمام، ثم قال الرجل الذى تبدو عليه علامات الزعامة منهم :

— حاصروا الفيلا، وسأقوم مع بعض الرجال باقتحامها و ....

أوقفه صوت (أدهم) يقول فى استسلام :

— لا داعى أيها الرجل .. إننى أستسلم .

تراجع الرجال فى حذر، وارتفعت فوَّهات أسلحتهم نحو باب الفيلا، حيث وقف (أدهم) و (منى) وقد رفع كل منهما ذراعيه فوق رأسه، وهمست (منى) فى أذنه :

— ماذا لو أنهم أطلقوا النار فى الحال ؟

أجابها فى استهانة :

— ستكمل المخابرات السوفيتية الطريق يا زميلتى العزيزة .

تمتمت (منى) فى حنق :

— يا لها من إجابة مطمئنة !!

ولكن الرجال لم يطلقوا النار، وإنما تقدم بعضهم فى حذر من (أدهم) و (منى)، وقال زعيمهم وهو يضع فوهة مسدسه على رأس (أدهم) :

— أين الرجال الآخرون الذين اختطفوكما ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

— لقد فرُّوا بمجرد رؤيتكم تقتربون، ووضعوا فى الفيلا قنبلة زمنية و ....

جحظت عينا الرجل رعبًا عند سماعه عبارة (أدهم)، فأشار إلى رجاله الذين أسرعوا يبتعدون (بأدهم) و (منى)، ويضعونهما داخل إحدى السيارات الثلاث، ثم ابتعد الجميع بسرعة قبل انفجار الفيلا، وقال زعيمهم وهو يراقب الفيلا فى أثناء ابتعاد السيارات :

— إن القنبلة لم تنفجر بعد .

أجاب (أدهم) متظاهرًا بالجدّية :

ــ لقد وضعوها بحيث تنفجر بعد أن تدخلوا جميعًا إلى الڤيلا .

استدار إليه الرجل ، وقال فى شك :

ــ كيف تركوكما هكذا إذن ؟

أجابه (أدهم) :

ــ لقد قيّدونا ، ولكننا نجحنا فى التخلّص من قيودنا قبل وصولكم بلحظات .

عاد الرجل يتطلّع فى شك إلى مكان الڤيلا ، التى لم تلبث أن توارت فى الأفق ، ثم قال :

ــ لو أنك تخدعنا فسأ ....

وقبل أن يتم عبارته ، سمع الجميع صوت انفجار مكتوم ، وتصاعدت النيران فى المكان القريب من الڤيلا ، فابتسم الرجل ، وقال :

ــ حسنًا أيها المصرى .. لقد كنت صادقًا .. ربما يقدّر مستر (شيلدون) عملك هذا .

لم يستطع (أدهم) و (منى) كتمان دهشتهما ، عندما ذكر الرجل اسم (چورچ شيلدون) .. فقد كانا يعتقدان حتى هذه اللحظة أنهما فى قبضة رجال (آلان شيفاليه) .. ولم يلبث (أدهم) أن تغلّب على دهشته بسرعة ، وسأل الرجل فى سخرية :

ــ إلى أين نحن ذاهبون ؟ .. إذا كنتم تنوون قتلنا ، فهذا هو المكان المناسب .

هزّ الرجل كتفيه ، وقال :

ــ لقد أمرنا مستر (شيلدون) بإحضاركما فقط ، وهو وحده صاحب القرار فيما يمكن اتخاذه بشأنكما .

تنهّدت (منى) فى ارتياح ، وعلت شفتى (أدهم) ابتسامة ظفر فور سماعه للعبارة ، ثم استرخى فى مقعده ، وأغلق عينيه فى هدوء بعد أن اطمأن إلى أن خطته تسير فى طريقها المرسوم ، برغم اختلاف اسم الرجل المنشود .

* * *

راقب رجال المخابرات السوفيتية السيارات الثلاث ،

وهى تبتعد عن الڤيلا فى سرعة ، وقال أحدهم فى ضيق واضح :

ــ ألم يكن من الأفضل لنا أن نسيطر على الموقف أيها الرفيق الجنرال ؟

أجابه (عظيموف) فى هدوء :

ــ إننى أثق فى الرفيق المصرى (أدهم صبرى) يا (بروزونسكى) ، ثم إن الخطة التى وضعها بسرعة عظيمة لخداع هؤلاء الرجال ، تنم عن ذكاء خارق ، ومقدرة سليمة على التخطيط العسكرى الناجح .

قال (بروزونسكى) فى حنق :

ــ وهل سنكتفى بالجلوس هنا ومراقبته وهو يعمل ؟

ابتسم (عظيموف) ، وقال :

ــ سنتدخل فور وصوله إلى مقر الرجل المطلوب ، فالجهاز اللاسلكى الصغير الذى ثبتاه فى حزامه كما اقترح ، سيساعدنا على تتبُّعه إلى هناك .

كانت السيارات الثلاث قد اختفت فى الأفق فى تلك اللحظة ، فقال (عظيموف) :

ــ والآن يا (بروزونسكى) ، عليك بتفجير القنبلة فى حديقة الڤيلا ، حتى يخيَّل لهؤلاء المجرمون أن الڤيلا قد انفجرت بأكملها .

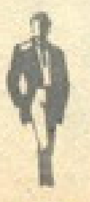
تحرَّك (بروزونسكى) لتنفيذ الأمر ، وهو يتمتم :

ــ أمرك أيها الرفيق الجنرال ، ولكننى لا أعتقد أن المخابرات المصرية قادرة على مواجهة مثل هذا الأمر .

ابتسم (عظيموف) ، وقال فى ثقة وإعجاب :

ــ بل هى قادرة على أكثر من ذلك أيها الرفيق (بروزونسكى) ، مادامت تضم بين صفوفها رجالاً مثل الرفيق (أدهم صبرى) .

* * *



٧ ـ لقاء الشياطين ..

توقَّفت السيارات الثلاث، التي تقل (أدهم) و (منى) ورجال (چورج شيلدون)، أمام كوخ صغير، في الطريق الموصِّل إلى (أوتاوا) عاصمة (كندا)، وأشار زعيم الرجال الخمسة عشر إلى (أدهم) و (منى) قائلاً :

ـ هيَّا أيها البطلان .. ستغيِّران ثيابكما بأكملها في هذا الكوخ، قبل أن نواصل طريقنا تحسُّبًا للظروف .

شحب وجه (منى) وهي تتصوَّر فشل الخطَّة التي وضعها (أدهم)، بالاشتراك مع المخابرات السوفيتية، على حين استرخى (أدهم) في مقعده، وقال ساخرًا :

ـ إنني أشعر بالراحة في ثيابي هذه .. شكرًا لك .

لكزه الرجل بفوَّهة مسدسه في عنقه، وقال في قسوة :

ـ ستبدلان ثيابكما كما آمركما، وإلا بدلت رأسيكما .. لقد احتاط مستر (شيلدون) لكل الظروف، وتوقَّع أن



تحملا أجهزة تصنت صغيرة أو ما شابه فى طيّات ثيابكما .. ولذا فقد أحضرنا ثيابًا أخرى تناسبكما ، وستبدلان كل ما ترتديانه .

هبط (أدهم) و (منى) من السيارة ، تحت إكراه مسدسات الرجال ، وقال (أدهم) فى سخرية وهو يسير نحو الكوخ :

ـــ أرجو أن تكون الثياب مناسبة ، فأنا أكره أن أرتدى ثيابًا لا تناسب قوامى .

دفعهما الرجال إلى داخل الكوخ ، وألقوا إليهما ببعض الثياب الجديدة ، ووقف ثلاثة منهم يصوّبون مدافعهم الرشاشة إلى (أدهم) و (منى) ، على حين قال زعيمهم :

ـــ هيّا .. أسرعا حتى نواصل طريقنا .

امتقع وجه (منى) وهى تتصوّر نفسها تبدل ثيابها أمام الرجال الثلاثة ، ولاحظ (أدهم) تغيُّرات وجهها ، وفهم ما يعتمل فى نفسها ، فقال :

ـــ إن زميلتى العزيزة لن تبدل ثيابها أمامكم .

صاح زعيم الرجال فى قسوة وصرامة :

ـــ سأطلق النار بعد خمس دقائق تمامًا ، إذا لم تنتهيا من تبديل ثيابكما فى هذه الفترة .. إننا لا نمزح .

نظر (أدهم) إلى (منى) ، وهو يلمح ملامحها التى تذوب خجلًا ، ثم قال باللغة العربية وفى حنان بالغ :

ـــ معذرة يا زميلتى العزيزة .. سنتحمّل كل ذلك من أجل مصر .. بل من أجل العالم أجمع ..

ثم أولاها ظهره وبدأ فى خلع ملابسه ، وهو يواصل حديثه ، وقد ملأته رنّة الغضب :

ـــ ولكنهم سيدفعون ثمن ذلك .. أعدك بهذا .

* * *

واصلت السيارات الثلاث طريقها ، وقد سادها الصمت التام ، واختلس (أدهم) النظر إلى زميلته التى جلست صامتة شاحبة الوجه ، وتملّكه حنق هائل ، وأقسم فيما بينه وبين نفسه ، أن يلقّن زعيم هؤلاء الرجال درسًا قاسيًا ، حينما ينتهى من مهمته ..

ثم لم يلبث أن سرح بأفكاره فى رجال المخابرات السوفيتية ، وفشل الخطة التى وضعوها معًا ، بعد أن نزع (أدهم) مكرهًا حزامه ، الذى يحتوى على جهاز اللاسلكى الصغير ، وشعر لأول مرة أنه يواجه وحده منظمة قويّة ، تهدف إلى السيطرة على العالم أجمع ، ولكنه عاد يسترخى فى مقعده ، وقد قرّر أن يترك الأمر للظروف تسيّره كيفما تشاء ..

وبعد ساعة كاملة عبَرت السيارات الثلاث شوارع (أوتاوا) ، حتى اجتازت بوابة قصر ضخم ، وأخذت تسير فى حديقة خمس دقائق ، قبل أن تتوقّف أمام بابه الخشبى الضخم ، وهبط منها الجميع ، ثم اقتاد الرجال (أدهم) و (منى) عبر أروقة القصر ، إلى حجرة مكتب فاخرة ضخمة ، تحمل شعارًا يشبه دروع القرون الوسطى ، ويحمل حرفى السين والهاء بالإنجليزية ، مما يعطى نطقًا لحرف (الشين) أول حروف اسم (شيلدون) .. وتراجع معظم الرجال ، تاركين زعيمهم ورجلين آخرين لحراسة أسيريهم ، فدار (أدهم) ببصره فى الغرفة الفاخرة ، وقال فى سخرية :

— يبدو أن مستر (چورج شيلدون) مثقف للغاية ، حتى يمتلك مثل هذه المكتبة الضخمة .

أجابه صوت هادئ يقول :

— الأمر كذلك بالفعل يا مستر (أدهم) .

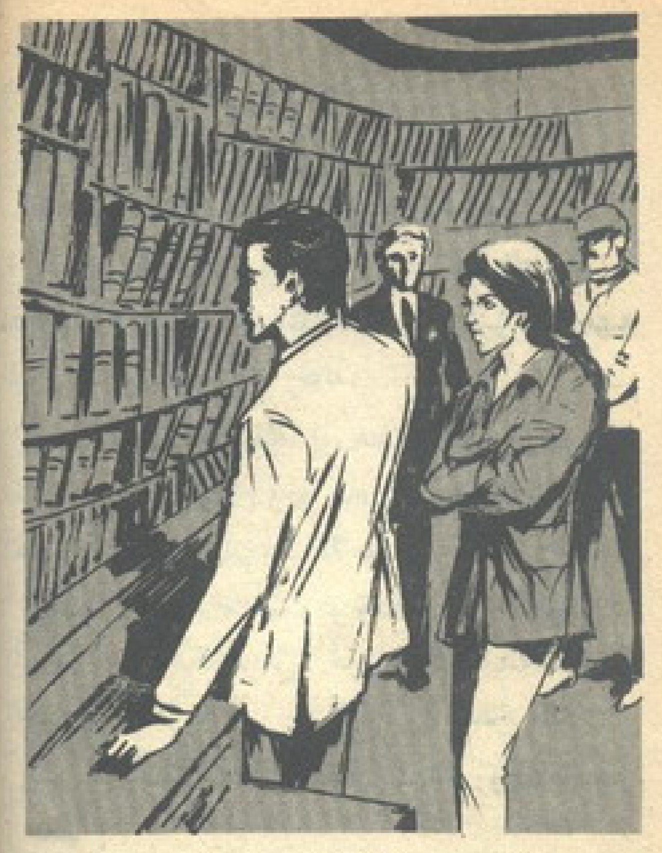
التفت (أدهم) و (منى) إلى مصدر الصوت ، فطالعهما (چورج شيلدون) بجسده الضئيل ، ووجهه النحيل ، وهو يقول لزعيم رجاله :

— أحسنت بإحضارهما إلى هنا يا (جيمس) .. إن مستر (أدهم صبرى) رجل هام ، وشهير للغاية ، وإنى أتعجّب كيف استسلم ببساطة هكذا .

قطّب (أدهم) حاجبيه وهو يحدّق فى وجه (چورج) ، وتساءل كيف عرفه الرجل ، حتى يتحدّث بهذه العبارات الواضحة . ولكن (چورج شيلدون) استطرد قائلاً :

— لن يمكنك أن تتصوّر كيف تسعدنى رؤيتك يا مستر (أدهم) ..

أجابه (أدهم) فى لهجة ساخرة :



فدار (أدهم) ببصره فى الغرفة الفاخرة ، وقال فى سخرية :

— يبدو أن مستر (جورج شيلدون) مثقف للغاية ..

— يؤسفنى ألا أبادلك الشعور نفسه ، أيها الوغد العجوز .

قهقه (چورج) ضاحكًا ، وقال :

— تمامًا كما يقولون عنك يا مستر (أدهم) .. جرىء ومكابر حتى فى أحلك المواقف .. يعجبنى الرجال من أمثالك ، حتى أننى أشعر بالأسف لاضطرارى إلى قتلك .

ازداد وجه (منى) شحوبًا ، على حين قال (أدهم) فى سخرية :

— ولم إضاعة الوقت ؟ .. ألم يكن من الأفضل أن يطلق رجالك النار علينا فى الطريق ، بدلًا من كل ذلك ؟

ابتسم (چورج) ، وقال فى خبث :

— مثلك لا يقضى نحبه بهذه الوسيلة الرخيصة يا مستر (أدهم) ، كما تموت الكلاب غير المرخصة فى الطرقات .

ثم فرد قامته الضئيلة وتابع :

— ثم إنه لدىَّ أمل فى ضمك إلى مملكتى المقبلة .

ضحك (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— إن مملكتك المقبلة ستكون فى سجن (كندا) يا مستر (شيلدون) ، وثوبك الملكى سيكون عبارة عن حُلَّة من الكتان ، مزيَّنة برقم أنيق ، هو نفس رقم ملفك فى إدارة السجون .

مطَّ (چورچ شيلدون) شفتيه ، وقال :

— من الواضح أنك لا تدرك شيئًا عن قوَّتنا أنا وشريكى يا مستر (أدهم) ، وإلا ما تحدَّثت بهذه الثقة .

أثارت الإشارة إلى وجود شريك انتباه (أدهم) و (منى) فى آن واحد ، فتبادلا نظرات ذات معنى ، ثم قال (أدهم) وقد خفَّف من حدَّة سخريته :

— وما مركزى إذا وافقتك على ما تعرضه يا مستر (شيلدون) ؟ .. أعنى ما منصبى المفترض فى مملكتك القادمة ؟

برقت عينا (شيلدون) وهو يشعر بقرب فوزه ، وقال :

— أنت رجل قوى يا مستر (أدهم) .. قوى وجرىء وذكى وشجاع .. كل الصفات اللازمة للقيادة .. وكل

الممالك العظيمة تحتاج إلى جيش قوى ، يقوده قائد له مثل هذه الصفات .

ثم فرد قامته وهو يستطرد فى عظمة :

— ستكون قائد جيوشى يا مستر (أدهم) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، سرعان ما أخفاها ، واتسعت عينا (منى) فى دهشة ، على حين صاح (جيمس) فى حنق :

— سيِّدى .. ولكنك وعدتنى مسبقًا بأن ....

قاطعه (چورچ) فى صرامة :

— صَهْ يا (جيمس) .. لقد كان ذلك قبل ظهور مستر (أدهم صبرى) على الشاشة .. وأنا لا أميل إلى المجادلة فى اختيار قوَّادى .

ابتسم (أدهم) فى قرارة نفسه ، فقد كان (چورچ شيلدون) يتحدَّث فى عظمة ، وهو يظن نفسه (يوليوس قيصر) ، أو (الإسكندر المقدونى) ..

لم يداخل (أدهم) أدنى شك ، فى أن الرجل مصاب

بجنون العظمة ، ولكنه كتم ما يدور بخلده ، وقال فى هدوء :

ـ إنه منصب مغر يا مستر (شيلدون) ، ولكننى أحتاج إلى بعض الوقت للتفكير .

تألقت نظرات الفوز فى عينى (چورچ شيلدون) ، وهو يقول :

ـ سيكون لك ما تريد يا مستر (أدهم) .. ستنزل فى ضيافتى أنت وزميلتك ، حتى تتخذ قرارك النهائى .

ثم تحوّلت نظراته إلى الخبث ، وهو يبتسم فى مكر قائلًا :

ـ لن تحصل على حريتك الكاملة بالطبع ، ولكننى سأسمح لـ (جيمس) باصطحابك فى جولة لتفقد مشروعنا العظيم ، لعلك تقتنع بقوتنا ، وتتخذ قرارك بشكل سليم ونهائى يا مستر (أدهم) .

ابتسم (أدهم) وهو يشعر بدنوه من الفوز برغم كل ما حدث ، وعقد ساعديه أمام صدره وهو يقول فى هدوء :

ـ وهو كذلك يا مستر (شيلدون) .

* * *

٨ ـ من قلب الهدف ..

جلس (أدهم) صامتًا يفكّر بعمق ، داخل الغرفة التى أعدّها (چورچ شيلدون) له ولـ (منى) ، على حين جلست هى فوق الفراش شاحبة الوجه صامتة ، ثم لم تلبث أن رفعت رأسها إليه ، وسألته فى صوت ضعيف :

ـ ماذا تنوى أن تفعل يا (أدهم) ؟

أجابها فى هدوء :

ـ سأوافق على عرضه بالطبع .. إنها فرصة نادرة ، لن أتركها تفلت من بين يدىّ .

عادت تسأله فى هدوء :

ـ أعلم ذلك ، ولكن كيف ستنجح فى إيقافه بعد ذلك ؟

نهض من مقعده ، وهزّ كتفيه قائلًا :

ـ ومن قال إننى سأحاول ذلك ؟.. لقد فهمت عبارتى خطأً يا عزيزتى .. إنما الفرصة النادرة التى أتحدث

عنها، هي أن أصبح قائد جيوش أعظم مملكة فى العالم أجمع .

قفزت من فراشها وحدَّقت فى وجهه بدهشة ، وتمتمت فى ذهول :

ــ مستحيل !! أنت تتحدَّث هكذا يا (أدهم) ؟!.. مستحيل !!

اقترب منها وأمسك كتفيها براحتيه، ونظر فى عينيها مباشرة وهو يقول :

ــ ولم لا ؟! .. هل سأقضى عمرى كله بذلك المرتب الضئيل، الذى أتقاضاه من إدارة المخابرات المصرية ؟

اتسعت عيناها ذهولاً ، وهى تحدّق فى عينيه الواسعتين ، وهو يستطرد :

ــ من الواضح أنها منظمة قوية للغاية، وإلا ما وضعت حكومات العالم أجمع فى هذا الوضع المخيف .. لقد اتخذت قرارى يا عزيزتى، وسأعمل معهم .

انسالت قطرة دمع من عينى (منى)، وهى تحدّق فى وجهه بذهول، غير مصدقة ما تسمعه أذناها، ولكن

دموعها جفَّت فجأة، وتذكرت أنه من المستحيل حقًّا أن يتحدَّث (أدهم صبرى)، الذى يذوب فى حبّ مصر بهذا الحديث، ما لم يكن وراءه هدف خفى .. وبرقت عيناها دلالة على الفهم، حينما تذكرت أنه لابدّ من وجود ميكروفونات سريّة فى الحجرة، ولا ريب أن (أدهم) يعلم ذلك وهو يتحدَّث بهذا الأسلوب، حتى ينتقل حديثه إلى (جورج شيلدون)، فيزداد ثقة فى قراره ..

ولم تكد تتوصَّل إلى ذلك حتى تهلّلت أساريرها، وكادت تصرخ من السعادة، حينما غمز لها (أدهم) بعينه فى سرعة، مؤكّدًا صحة الاستنتاج الذى توصّلت إليه، ولكنها كتمت مشاعرها، وقالت :

ــ أعتقد أنك محقّ يا (أدهم) .. بل أنا واثقة من ذلك .. لِمَ لا ؟ .. ستصبح قائد أعظم الجيوش .. ستكون اليد اليمنى لملك العالم أجمع .

ابتسم (أدهم) لفطنتها، وهمّ بمتابعة حوارهما الزائف، عندما دقّ باب الغرفة دقّة سريعة، ثم دخل منه (جيمس)

وهو ينظر إلى (أدهم) فى حنق ، ويحمل مسدسه فى قبضته ويقول فى لهجة تدل على الغيظ :

ـ هيّا أيها البطل .. سترافقنى وزميلتك إلى مقر القيادة .. إن الطائرة فى الانتظار .

زوَى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وسأله فى دهشة :

ـ طائرة ؟! .. أليس مقر القيادة هنا فى (أوتاوا) ؟

ضحك (جيمس) فى سخرية ، وقال :

ـ بالطبع لا أيها المصرى .. هل كنت تظنّنا بمثل هذا الغباء ؟ .. إن مركز قيادتنا هناك فى جزر (ألوتيان) ، بالقرب من شبه جزيرة (ألاسكا) .

قطّب (أدهم) حاجبيه فى دهشة .. لقد تبيَّن فى تلك اللحظة مدى قوة وخطورة هذه المنظمة العجيبة .. براعة نادرة تلك التى تدفعهم إلى إقامة مقر قيادتهم فى نقطة تمكّنهم من مراقبة الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى فى آن واحد ، كما تكون قريبة من (كندا) ، حيث زعيماها فى الوقت نفسه .. ولكنه كتم مشاعره ، وقال :

ـ حسنًا .. سنتبعك بعد أن تبدل زميلتى ملابسها .

ابتسم (جيمس) فى شراسه ، وتملّكته رغبة عارمة فى تحدّى (أدهم صبرى) ، الذى انتزع منه منصب قائد الجيوش ، الذى وعده به (چورچ شيلدون) من قبل ، ودفعته نزوته الحمقاء إلى التخلّى عن مبدأ التفكير السليم ، فقال فى شماته وهو يتطلّع إلى (منى) فى قحة :

ـ وماذا فى ذلك ؟ .. لقد سبق أن بدّلت ثيابها أمامى من قبل ، والحق يقال إنها تمتلك جسدًا جميلًا و ....

وقبل أن يتم عبارته ، قفز (أدهم) من مكانه قفزة قوية رشيقة رائعة ، عبر بها الفراش ، وهبط أمام (جيمس) تمامًا ، ثم جمع قوته وكراهيته وغضبه فى قبضته ، ودفع بها إلى وجه (جيمس) فى لكمة ساحقة فولاذية ، هبطت على فك هذا الأخير كالصاعقة ، فألقت به إلى الوراء ليرتطم بحائط الممر ، الذى يحوى غرفة (أدهم) و (منى) فى قوة رهيبة ، ثم سقط على الأرض ..

سالت الدماء من أنف (جيمس) وفمه ، وسقطت

ثلاث من أسنانه من بين شفتيه ، ورفع مسدسه نحو (أدهم) صارخًا فى حنق وألم :

ـــ أيها المجنون .. لقد جرؤت على مهاجمة (جيمس) .. لقد ....

ولكن (أدهم) لم يترك له الفرصة ليتم عبارته ، فقد قفز نحوه مرة أخرى يدفعه غضبه ، وركل مسدسه بضربة قوية من قدمه ، فأطاح به بعيدًا ، ثم جذبه من سترته بقوة مذهلة ، فأجبره على الوقوف على قدميه ، وكال له لكمة أخرى ، أشد غضبًا وقوة هشَّم بها أنفه ، وخلط عظامه بلحمه ، ثم أعقبها بأخرى فتتت فك (جيمس) ، الذى كَفَّ عن الصراخ والوعيد ، ثم ثالثة تناثرت لها الدماء من وجه هذا الأخير ، واختفت لها ملامحه ..

قفزت (منى) نحو (أدهم) ، وهى تصرخ فى رعب وجزع :

ـــ توقَّف يا (أدهم) ، إنك ستقتله .

ولكن عبارتها جاءت متأخرة ، فقد سمعت صوت



ثم أعقبها بأخرى فتتت فك (جيمس) ، الذى كف عن الصراخ والوعيد ، ثم ثالثة تناثرت لها الدماء من وجه هذا الأخير ..

ضلوع (جيمس) وهى تتهشم ، إثر لكمة ساحقة من قبضة (أدهم)، وسقط (جيمس) أرضًا ، وقد جحظت عيناه وتسمرتا ، واختلطت عظامه بدمائه ولحمه ..

غطّت (منى) وجهها لتخفى عنها هذا المشهد البشع ، على حين وقف (أدهم) منتصبًا وهو يلهث ، وكأنما بذل مجهودًا عنيفًا ، وقد جمدت ملامحه ، وتصلّبت واكتست بقناع من الصرامة والارتياح ، فصاحت (منى) وهى تبكى :

ـــ لم فعلت ذلك يا (أدهم) ؟ . لقد قتلته بلا رحمة .

أجابها (أدهم) فى صوت هادئ تملؤه العزة :

ـــ هذه شيمتنا نحن أبناء العرب والمصريين يا عزيزتى .. تفور دماؤنا وتثور كرامتنا إذا ما أساء وغد إلى نسائنا ، وخاصة إذا ما كان هذا الوغد أجنبيًّا جبانًا .

تطلّعت إليه بعينين دامعتين ، ولكنها لم تمنع نفسها من الشعور بالفخر والسعادة ؛ لأن (أدهم صبرى) فقد شعوره للمرة الأولى ، وقتل رجلًا بيديه العاريتين ـــ برغم

كراهيته للقتل دونما ضرورة ـــ من أجلها هى .. فاقتربت منه وأمسكت ذراعه القوية بكفّها الصغير وهى تهمس :

ـــ هل فعلت ذلك من أجلى أنا ؟

كانت تتمنّى سماع إجابته ، ولكن صوت (جورج شيلدون) ارتفع بدلًا من صوته قائلًا :

ـــ لقد نال جزاءه يا مستر (أدهم) .. لا تشغل نفسك بما فعلته به .

استدار (أدهم) فى هدوء ، يتطلّع إلى (جورج شيلدون) الذى بدا هادئًا ، وقال :

ـــ متى سنقوم برحلتنا إلى مقر القيادة فى جزر (ألوتيان) يا مستر (شيلدون) ؟

ثم عاد يبتسم ويقول :

ـــ يبدو أن المرحوم (جيمس) لم يستطع كتمان ما لديه من معلومات يا مستر (أدهم) .. إنه يستحق فعلًا ما أصابه .

واعتدل وهو ينظر إلى (أدهم) و (منى) قائلًا :

— سيتولَّى رجالى دفن جثته ، أما نحن فسننطلق بعد قليل فى رحلتنا أيها السادة .

واستدار مبتعدًا ، وهو يقول لـ (منى) :

— ستحسدك نساء العالم يا سيِّدتى ، لأن الرجل الذى يقوم على حمايتك هو (أدهم صبرى) نفسه .





٩ — الأفعى ..

رفع (بروزونسكى) المنظار المعظَّم عن عينيه ، وأزاح خصلة من شعره الذهبى تهدَّلت على جبينه ، ثم قال لرئيسه :

— معذرة أيها الرفيق الجنرال .. هل أنت واثق أنه من المجدى مراقبة قصر السيد (آلان شيفاليه) ؟

أومأ الجنرال (عظيموف) برأسه إيجابًا ، وقال :

— لقد أخبرنى الرفيق (أدهم) قبل مغادرتنا ، أن (آلان شيفاليه) هو الرجل المنشود ، وما دام الاتصال بيننا قد انقطع ، فلابدَّ أن الرفيق (أدهم) هنا على الرغم منه .

هزَّ (بروزونسكى) رأسه فى تشكك ، وقال :

— وماذا لو أن الرفيق (أدهم) هذا قد خدعنا ؟

قطَّب (عظيموف) حاجبيه ، وقال :

— لا أعتقد ذلك أيها الرفيق (بروزونسكى) ، فهذا

الرجل من أشرف من قابلت ، ثم إنه لم يكن فى حاجة إلى ذلك ، فقد كان بإمكانه إطلاق النار علينا .

مطَّ (بروزونسكى) شفتيه غير مقتنع ، وعاد يراقب قصر (آلان شيفاليه) بمنظاره المقرِّب ، على حين انشغل (عظيموف) وباقى الرجال بتنظيف أسلحتهم وإعدادها .. وفجأة قال (بروزونسكى) :

ـــ عجبًا !! أقسم برأس الرفيق (لينين) ، أن هذا الوجه الجميل من الوجوه المألوفة .

تناول (عظيموف) منه المنظار المعظِّم ، ووضعه فوق عينيه وهو يقول :

ـــ دعْنى أرى هذا الوجه الجميل أيها الرفيق .

ولم يكد يضع المنظار فوق عينيه ، حتى أطلق من بين شفتيه صفيرًا طويلًا ، وقال :

ـــ يا للجمال الساحر !! ألم تتعرَّف هذه التحفة الرائعة أيها الرفيق (بروزونسكى) ؟.. إننى أحفظ صورتها عن ظهر قلب .. إنها ملكة جمال (الموساد) المدعوَّة (سونيا جراهام) .

علَت الدهشة وجوه رجال الـ (كى . جى . بى) ، وقال (كاريموف) :

ـــ وهل أقحم (الموساد) نفسه فى الأمر ؟

قال (عظيموف) وهو يراقب بمنظاره (سونيا) ، التى اجتازت باب القصر ، واختفت خلفه :

ـــ إن هذه الدولة تقحم نفسها فى كل شىء أيها الرفيق .. المهم هو معرفة دورها فى هذه العملية الخطيرة .. أمعنا هى أم ضدنا ؟

انهمك (آلان شيفاليه) فى محاولة فتح زجاجة من زجاجات الخمر بيده اليسرى ، عندما دخل (موريس) إلى غرفته ، وتنحنح ليجذب انتباهه ، فرفع رأسه عن الزجاجة ، وسأله فى حدَّة :

ـــ ماذا تريد يا (موريس) ؟

قال (موريس) فى لهجة تملؤها الدهشة والإعجاب :

ـــ إلٰهة الجمال بنفسها تطلب مقابلتك يا سيِّدى .

قطَّب (شيفاليه) حاجبيه ، وقال فى حنق :

ـــ ما هذه الدعابة السخيفة بحق الشيطان ؟

كان (موريس) يبدو حالمًا ، وهو يحرّك ذراعيه قائلًا :

ـــ أقسم بكل عزيز لدىَّ أنها ليست دعابة يا سيِّدى .. إن الفتاة التى تنتظرك فى مكتبك هى الجمال مجسّمًا .. إنها أجمل وأرقّ فتاة وقعت عليها عيناى يا سيِّدى ، وهى تدعى (سونيا جراهام) .

زوَى (شيفاليه) ما بين عينيه ، محاولًا تذكر الاسم ، ومفتِّشًا فى ذاكرته عنه ، ولكنه فشل فى أن يجده ، فقال :

ـــ وماذا تريد إلهة الجمال هذه يا (موريس) ؟

مطَّ (موريس) شفتيه ، وقال :

ـــ لست أدرى يا سيِّدى .. إنها تطلب مقابلتك شخصيًا ، وترفض الإفصاح عن أى شىء لسواك .

صمت (شيفاليه) لحظة مفكّرًا .. كان يخشى أن تكون هذه الفتاة إحدى فتيات المخابرات ، فهو يعلم جيِّدًا مدى تعدُّد الوسائل التى تتبعها المخابرات المختلفة ، للحصول على ما تبغى من المعلومات .. وفكَّر لحظة فى طردها ، ولكنه

عاد وقرر مقابلتها دون سبب واضح ، وربما هو الفضول لرؤية من أطلق عليها (موريس) اسم (إلهة الجمال) ، فرفع رأسه إليه ، وقال :

ـــ حسنًا يا (موريس) .. سأقابلها فى الحال .

* * *

لم يكد (آلان) يعْبُر باب غرفة مكتبه حتى تسمَّر ، وجحظت عيناه ذهولًا ، أو بمعنى أدقّ ازدادتا جحوظًا ، وهو يحدِّق فى وجه (سونيا) الفاتن ، ولم يشعر بنفسه وهو يقترب منها ، أو لعلها هى التى اقتربت منه .. المهم أنه فى النهاية وجدها على بعد خطوة واحدة منه ، ووجد نفسه ينحنى ليقبِّل أطراف أناملها فى ولَه ، وهو يقول :

ـــ أية خدمة يمكننى تقديمها إلى ملكة جمال جميلات العالم ؟

ابتسمت (سونيا) فى ثقة ، وسحبت أناملها من كفِّه الخشن ، وقالت :

ـــ ربما قدَّمت إليك أنا الخدمة يا مسيو (آلان) .

رفع رأسه إليها فى دهشة ، وقال وهو يمتّع ناظريه بجمالها المذهل :

ــ وهل ترغب فاتنة مثلك فى تقديم الخدمات إلى (آلان شيفاليه) ؟

انسحبت مبتعدة عنه ، وجلست برشاقة على مقعد مجاور لمكتبه ، وأخرجت سيجارة دسّتها بين شفتيها الجميلتين ، وأسرع هو يشعلها لها ، فأومأت برأسها إليه ممتنّة ، ونفثت دخانها فى إغراء ، ثم وضعت ساقها فوق الأخرى بشكل جذّاب ، وضاقت عيناها الواسعتان الجميلتان ، وهى تقول فى صوت أقرب إلى الغناء :

ــ إننى من (الموساد) يا مستر (شيفاليه) .

ولو أن (سونيا جراهام) ألقت بقنبلة فى وسط الغرفة ، ما كان لها نصف تأثير عبارتها ، إذ انتفض جسد (آلان شيفاليه) فى قوة ، وكأنه أفاق من حلم جميل بكابوس بشع ، وحدّق فى وجه (سونيا) بذهول ورعب ، ثم تراجع إلى الخلف خطوة ، ومدّ يده ليضغط على زرّ الإنذار ، ولكنه

توقّف حين أطلقت (سونيا) من بين شفتيها ضحكة عالية ساخرة ، وتطلّعت إليه بعينيها الواسعتين فى صمت ، فشعر بالخجل من نفسه ، واعتدل فى وقفته ، وسألها فى ضيق :

ــ ولماذا تخبرينني بذلك يا آنستى ؟

ابتسمت ابتسامة عذبة ، وقالت :

ــ اسمى (سونيا جراهام) يا عزيزى (شيفاليه) .. إننى أخبرك بذلك ، لنعلم قبل أن نبدأ حوارنا أن الأوراق جميعها مكشوفة .

أخذ (آلان) يتطلّع إليها فترة ، ثم ابتسم وأشعل سيجارته بدوره ، وقال :

ــ وماذا تريد منى عزيزتى فاتنة (الموساد) ؟

ضحكت (سونيا) ضحكة عالية ، أودعتها كل فتنتها وإغرائها ، وقالت :

ــ أريد أن أنبهك أولاً إلى أن رجال المخابرات السوفيتية يحيطون بقصرك .

قفز (آلان) من مقعده ، وقد تملّكته الدهشة وصاح :

— الـ (كي . جي . بي) .. وماذا يريدون منّى ؟

هزّت كتفيها ، وقالت وهى تغمز بعينها :

— أنت تعلم السبب يا مسيو (شيفاليه) .. المهم أنهم ثمانية رجال ، داخل عربتين من نوع (الفيات) ، يختفون داخل الدغل القريب من القصر ، وقائدهم جنرال سابق يدعى (إيفان عظيموف) .

أخذ (آلان) ينفث دخان سيجارته ، وهو يتطلّع إلى (سونيا) فترة ، ثم قال فى هدوء وبساطة :

— وماذا عن المخابرات الأمريكية والإنجليزية ؟

ابتسمت (سونيا) ابتسامة ظفر ، وقالت وهى تنفث دخان سيجارتها بدورها :

— الأمريكيون لم يتوصّلوا إلى شىء بعد ، والإنجليز لم يبدءُوا عملهم ، فهم مشغولون فى إعداد أوراقهم ، وتصنيفها قبل بدء العمل .

ابتسم لها (آلان) محاولاً أن يبدو وسيمًا ، ثم رفع سماعة الهاتف ، وقال وهو يأكلها بعينيه :

— سنتحدث طويلاً فى هذا الأمر يا جميلة الجميلات ، أما الآن فلنعمل على إزاحة المخابرات السوفيتية من الطريق كخطوة أولى .

* * *



١٠ ـ الأشـرار ..

زفر (بروزونسكى) فى ملل ، وناول منظاره إلى (كاريموف) ، وهو يقول :

ـ واصل أنت مراقبة القصر أيها الرفيق (كاريموف) ، فقد كلّت عيناى من كثرة النظر فى هذا المنظار السخيف .

أشعل (عظيموف) سيجارًا ذا رائحة فجّة ، وسحب منه نفسًا عميقًا ، وهو يراقب المنظار الذى انتقل من يد (بروزونسكى) إلى يد (كاريموف) ، ثم سأل فى هدوء :

ـ ألم تخرج (سونيا) بعد ؟

هزّ (كاريموف) رأسه ، وقال :

ـ لا .. ليس بعد .. يبدو أن حديثهما قد طال ، أو أن ....

وبتر (كاريموف) عبارته فجأة ، وجحظت عيناه فى مزيج من الدهشة والذعر ، وارتسمت على جبينه بقعة حمراء

دامية ، فى نفس اللحظة التى تهشّم فيها زجاج النافذة الأمامى بصوت مكتوم ، فصاح (عظيموف) :

ـ خيانة !! هبُّوا يا رفاق ، إنه هجوم غادر ..

ولم يكد (عظيموف) يتم عبارته ، حتى أصابته رصاصة أخرى من مسدس كاتم للصوت فى مؤخرة عنقه ، فسقط على وجهه ليلحق برجله (كاريموف) فى العالم الآخر ..

سحب رجال الـ (كى . جى . بى) أسلحتهم لدرء الهجوم ، ولكن رصاصات رجال (آلان شيفاليه) بقيادة (موريس) ، انهمرت على السيارتين كالمطر ، مستغلّة حالة المفاجأة ، فلقِىَ خمسة من رجال المخابرات السوفيت مصرعهم فى الهجوم الأول وحاول الثلاثة الآخرون المقاومة أو الهروب ، ولكن السيارة الأولى اشتعلت بالنيران ، من جرّاء رصاصات أصابت خزان الوقود ، وتمزّقت إطارات السيارة الأخرى ، ونفذت رصاصات الرجال الثلاثة الباقون من الـ (كى . جى . بى) ، فلم يعد أمامهم من مفرّ سوى الاستسلام ، وهم يعضون على نواجذهم بقهر وغضب .

وضع (آلان) سماعة الهاتف ، والتفت إلى (سونيا) وهو يقول فى جذل :

ــ لقد انتصرنا يا جميلة الجميلات ، وأزحنا المخابرات السوفيتية من الطريق ، وأسرنا ثلاثة من رجالها .

ثم فرك كفَّيه ، وقال :

ــ بقى أمامنا رجال المخابرات الأمريكية والإنجليزية .

رفعت (سونيا) حاجبيها ، وهى تقول :

ــ ألم تلاحظ أنك أهملت تمامًا المخابرات المصرية يا مسيو (شيفاليه) ، برغم أنى أعتبرها أقوى جهاز للمخابرات فى العالم أجمع ؟

ضحك (آلان) وتجاهل سؤالها ، وهو يقول :

ــ أخبرينى أنت أولًا .. لِمَ يتعاون معنا (الموساد) ؟

هزَّت كتفيها الرقيقتين وقالت :

ــ أنت فى طريقك إلى أن تصبح أقوى رجل فى العالم يا سيِّد (شيفاليه) ، ومن الطبيعى أن أسعى لاتخاذ مكانى إلى جوارك .

ضاقت عينا (آلان) ، وابتسم فى خبث وهو يسألها .

ــ أعَنْ نفسك تتحدَّثين ؟ أم عن جهاز مخابرات دولتك ، يا حسناء الحسناوات ؟

برقت عيناها ببريق شرس ، وهى تمط شفتيها قائلة :

ــ تبًّا (للموساد) ولكل أجهزة المخابرات فى العالم أجمع ، يا مسيو (شيفاليه) .. إننى لن أضيع الفرصة للتحكُّم فى كل هذه الأجهزة دفعة واحدة .. إننى أتحدَّث عن نفسى .

ثم وقفت ودارت حول نفسها بشكل استعراضى ، وهى تقول :

ــ هل ترى أننى أستحق لقب ملكة العالم ، يا مسيو (شيفاليه) ؟

سال لعابه وهو يقول :

ــ أعدك بالحصول عليه يا جميلة الجميلات .. إنه لك لو كتب لنا النصر .

عادت تجلس وقد علت شفتيها ابتسامة ظافرة ، وقالت فى هدوء :

ــ لقد قمت بواجبى حتى الآن ، فأرسلت جهاز المخابرات الأمريكية الـ (سى . أى . إيه) خلف هدف وهمى فى (هونولولو) ، وأبلغتك عن رجال الـ (كى . جى . بى) .

ثم تنبهت فجأة إلى سؤالها السابق ، فعادت تسأله فى اهتمام :

ــ إنك لم تخبرنى بعد .. لِمَ تُهمل المخابرات المصرية يا مسيو (شيفاليه) ؟

ابتسم (آلان) فى غرور ، وقال فى فخر :

ــ لأننا ببساطة اشترينا رجلها .. لقد وعده شريكى بمنصب قائد الجيوش بعد النصر ، وبمليون دولار شهريًا ، هل رأيت رجلًا يرفض ذلك ؟

ظهر الغضب على وجه (سونيا جراهام) ، وعضّت على شفتيها وهى تقول :

ــ وهل يدعى رجل المخابرات المصرى (أدهم صبرى) ، وتصحبه زميلة سمراء فاتنة ؟

نفث (آلان) دخان سيجارته ، وهو ينظر إلى (سونيا) فى إعجاب ، وقال :

ــ رائع يا عزيزتى (سونيا) .. إنك تعلمين كل المعلومات .

وأدهشه ذلك البريق الوحشى الشرس ، الذى انبعث من عينى (سونيا جراهام) الجميلتين ، والذى لا يتناسب قط مع ملامحها الرقيقة الجميلة ، وأدهشه أكثر صوتها القاسى وهى تقول :

ــ يا لك من أحمق يا مسيو (شيفاليه) !!

ظهر الغضب على وجه (آلان) ، ولكنها لم تمهله ، بل استطردت فى حنق :

ــ إن رجلًا من طراز (أدهم صبرى) لا يمكن شراؤه ، ولو دفعت له أموال الدنيا جميعها ، ولو أنه تظاهر بالموافقة ، فذلك لغرض فى نفسه .

صاح (آلان) معترضًا :

ــ مستحيل يا عزيزتى (سونيا) ، من ذا الذى يرفض مليون دولار شهريًا ؟

صرخت فى وجهه بشراسة ألجمته :



وأدهشه ذلك البريق الوحشى الشرس ، الذى انبعث من عينى (سونيا جراهام) الجميلتين ..

ـ إن (أدهم صبرى) لايبيع بلاده مقابل مليون دولار يوميًّا أيها الجاهل .. لقد خدعكم ، ودفعكم إلى إيصاله إلى مركز أعمالكم ، وسيدمِّره عن آخره ، حتى ولو قضى نحبه هناك .. هل تفهمنى ؟

شحب وجه (آلان شيفاليه) ، وبدت ملامحه بشعة بعد أن تدلَّت فكُّه السفلى ، وازداد جحوظ عينيه ، حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، وغمغم فى شحوب :

ـ يا للشيطان !! لابدَّ أن نلحق بهم فى جزر (ألوتيان) ، قبل أن يدمر هذا الشيطان المصرى منشآتنا التى بنيناها فى خمس سنوات .. قبل أن يدمر أملنا فى السيطرة على العالم .

* * *



١١ ــ أجهزة الدمار ..

أخذ (چورچ شيلدون) يشيح بذراعيه ، ويحرِّك ملامحه بأكملها ، وهو يتحدَّث إلى (منى) عن منجزاته وآماله ، وخططه المحكمة للسيطرة على العالم ، على حين بقى (أدهم) صامتًا ينظر من خلال زجاج نافذة الطائرة ، وهى تعبُر (خليج ألاسكا) فى طريقها إلى جزر (ألوتيان) ..

كان ما يشغله فى الواقع هو كيفية تحطيم مركز إطلاق الطائرات ، التى تحمل القنابل الذرِّيَّة المدمرة ، وكيفية إحباط خطة السيطرة على العالم ، واستغرقته تلك الأفكار ، حتى أنه لم ينتبه إلى (چورچ شيلدون) إلا حينما لمس كتفه قائلًا :

ــ هل يشغلك الأمر إلى حدّ عدم سماعك لصوتى يا مستر (أدهم) ؟

التفت إليه (أدهم) ، وقال فى هدوء :

ــ لقد كنت أتساءل عن السبب فى عبورك خليج

(ألاسكا) ، وقد كان فى إمكانك عبور (ألاسكا) نفسها .

ضحك (چورچ) ، وقال :

ــ لا تشغل بالك بمثل هذه الأمور يا مستر (أدهم) .. لن تلبث أن تتولَّى بنفسك تسيير كل ذلك .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وقال :

ــ ألا تخشى أن تسقط بك الطائرة يومًا ما ، فى مياه الخليج الباردة ؟

ابتسم (چورچ) ، وقال :

ــ ربما أخشى أنا ذلك ، ولكنك لست كذلك يا مستر (أدهم) ، فلقد قفزت يومًا دون مظلة من ارتفاع شاهق خلف الفاتنة الفرنسية (برجيت) .. هل تذكر ذلك[١] ؟

قطَّب (أدهم) حاجبيه ، وسأله فى اهتمام :

ــ إنك تتحدَّث بثقة ودراية كاملة عن تاريخى يا مستر (شيلدون) .. من أين لك معرفة كل ذلك ؟

---

(١) راجع قصة (عملية مونت كارلو) .. المغامرة (رقم ١٤) .

ابتسم (جورج شيلدون) فى غرور ، وقال :

ـ يمكنك القول إننى على صلة وثيقة بعضو كبير من أعضاء (الموساد) يا مستر (أدهم) .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وأخذ يفكّر بعمق فيما سمعه من (جورج شيلدون) .. إلى أن سمع هذا الأخير يقول :

ـ اربط حزامك يا مستر (أدهم) .. لقد وصلنا إلى مقر القيادة .

* * *

هبطت الطائرة فوق ممر صخرى ممهّد ، ينتهى بجبل ضخم يتوسط الجزيرة الصغيرة من جزر (ألوتيان) .. ولم تكد تتوقّف عجلاتها ، حتى اقتربت منها سيارة (جيب) متوسطة الحجم ، أدّى قائدها التحيّة العسكريّة لـ(جورج شيلدون) ، كما لو كانوا داخل ثكنات جيش منظم ، ثم انطلق بها بعد أن ركبها (جورج) و (أدهم) و (منى) ، نحو باب معدنى ضخم يتوسط قاعدة الجبل ،

لم يلبث أن فتح على مصراعيه إثر إشارة ضوئية من السائق ، واجتازت السيارة الباب المعدنى إلى داخل الجبل ، وعند هذه النقطة لم يستطع (أدهم) و (منى) إخفاء دهشتهما ..

كانت بداخل الجبل قاعدة عسكرية كاملة ، مجهزة بأحدث الأجهزة الدفاعية والقتالية .. ممرات ممهّدة مضاءة .. أجهزة رادار ، ودفاع جوّى سرّى مخبأ بمهارة فائقة .. طاقم كامل للحراسة والمراقبة .. مئات من الرجال الذين يرتدون ثيابًا أقرب إلى العسكريين ، وإن لم تشبه أيًا من الأزياء العسكرية المعروفة ..

ولم يكن أمام (أدهم) إلا أن يعترف فى داخل نفسه ، أن (جورج شيلدون) وشريكه يملكان جيشًا منظّمًا بالفعل .. وضحك هذا الأخير بفخر وغرور ، وهو ينظر إلى علامات الدهشة التى ارتسمت على وجهى (أدهم) و (منى) ، وقال فى عظمة :

ـ ما هذا إلا جزء ضئيل مما لدينا يا مستر (أدهم) .. لقد تكلّفت هذه المنشآت مليارات الدولارات .

سأله (أدهم) فى هدوء ، وهو يتظاهر باللامبالاة :

ـ كيف صنعتم كل ذلك يا مستر (شيلدون) ؟

ضحك (چورچ) ضحكة ماكرة قصيرة ، وقال :

ـ لقد بدأ الأمر بحوار قصير بينى وبين شريكى مسيو (آلان شيفاليه) .

تبادل (أدهم) و (منى) النظرات عند تلك العبارة ، على حين استطرد (چورچ) فى غرور ، ودون أن يلحظ ما ارتسم على وجهيهما :

ـ لقد أشار (آلان) يومئذ إلى أن ثروتنا مجتمعة تبلغ أضعاف ميزانية دولة كبيرة ، وتساءل لِمَ لا يكون لنا جيش منظم كالدول الكبرى .. وتعلّقت تلك العبارة بعقلى ، ولم أستطع إبعادها وصارحته بذلك ، ولدهشتى وجدته يفكّر بنفس أسلوبى ، ومن هنا كانت البداية .

ضحك ضحكة قصيرة ، وتابع :

ـ قمنا بشراء هذه الجزيرة الصغيرة بأسماء مستعارة ، ثم استعان (آلان) بمصانعه للصلب ، واستعنت بمصانعى

للبلاستيك ، وعدد ضخم من المرتزقة ، وتم بناء هذا المكان الضخم الرائع .

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

ـ ولكن إنتاج القنابل الذرية يحتاج إلى علماء وفنيّين ومفاعلات ذرية و ....

قاطعه (چورچ) قائلاً :

ـ إنه المال يا صديقى .. إن له مفعول السحر .. وما دمت تمتلك الأوراق الخضراء ، فقد ملكت العالم .

سألته (منى) :

ـ ومن صاحب فكرة مهاجمة الدول الكبرى ، وإجبارها على الاستسلام ؟

خبط (چورچ) على صدره ، وقال فى فخر :

ـ إنه أنا أيتها الحسناء .. ولم يعترض (شيفاليه) .. إننى أنا العقل المدبّر لكل ذلك .

قال (أدهم) فى سخرية لم يستطع كتمانها :

ـ وهل تتوقّع استسلام دول العالم أجمع لك ؟

ابتسم (چورچ) ابتسامة خبيثة ، وقال :

— إنها مسألة وقت يا صديقى ، ولكنهم سيفكّرون فى الأمر جديًا ، بعد الخطوة الثانية التى ستتم صباح الغد .

وانتفخت أوداجه ، وهو يقول فى زهو :

— سندمر أربع مدن كبرى فى آن واحد فجر الغد .. (هوليود) الأمريكية ، و (كييف) الروسية ، و (ليفربول) الإنجليزية ، و الإسكندرية (المصرية) .

ودَّ (أدهم) لو أنه أمسك بعنق هذا العجوز المغرور ، وحطَّمها بين كفَّيه ، ولكنه كتم ما يجول بخاطره ، وسأله فى هدوء :

— وأين مفاعلاتكم الذرية يا مستر (شيلدون) ؟

ابتسم فى مكر ، وقال :

— سترى كل شىء يا مستر (أدهم) .. إننى حريص على أن تعلم كل شىء عن المكان الذى ستقوده يومًا .

اصطحبهما (چورچ شيلدون) عَبْرَ عدد كبير من الممرات المتشابكة ، وهو يواصل حديثه فى غرور وخيلاء ،

عن عظمة تفكيره ومدى قوته ، حتى أصابهما بالملل ، ثم توقَّف أمام باب معدنى كبير ، وقال :

— خلف هذا الباب يكمن مصدر قوتنا يا مستر (أدهم) .

ثم ضغط زرًا صغيرًا ، فانزاح مصراعا الباب ، واتسعت عيون (أدهم) و (منى) دهشة ، فقد طالعتهما قاعة غاية فى الضخامة والاتساع ، وفى داخلها ربض مفاعل نووىّ حديث ، حوله عشرات الرجال فى معاطفهم البيضاء .

ولم يتمالك (أدهم) نفسه ، فقال :

— مذهل !! إننى لم أتوقَّع قوتكم هذه .

أغلق (چورچ) الباب ، وقال :

— لن يمكننا الدخول بالطبع دون الأردية الواقية ، ولكننا سنشاهد كيف يدور العمل من خلف الزجاج الواق فى غرفة مكتبى .

ثم قادهما فى هدوء إلى غرفة ملاصقة للمفاعل النووى ، وهى غرفة مؤثثة بعناية وأناقة بالغتين ، وبداخلها نفس

الشعار الذى رآه (أدهم) فى قصر (شيلدون) .. وجلس الجميع كما لو كانوا أصدقاء ، وقال (چورج) :

— والآن يا مستر (أدهم) ما رأيك فى العمل معنا ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال :

— نقطة واحدة أحب أن أتبيَّنها أولًا يا مستر (شيلدون) .. فى حالة حدوث هجوم قوى .. هل من الممكن تدمير القاعدة بأكملها ؟

نظر إليه (چورج) لحظة ، ثم قال فى خبث :

— بالطبع يا مستر (أدهم) ..

ثم ضغط زرًّا إلى جواره ، وهو يقول :

— سترى بنفسك كيف يمكن ذلك .

توقَّع (أدهم) و (منى) أن تظهر أمامهما شاشة سينمائية توضيحية أو ما شابه ذلك .. ولكن بدلًا من ذلك ، دخل إلى الغرفة خمسة رجال ، صوَّبوا فوَّهات مدافعهم الرشاشة إلى (منى) و (أدهم) ، فقال هذا الأخير :

— ماذا يعنى ذلك يا مستر (شيلدون) ؟

قهقه (چورج) ضاحكًا ، وارتجف جسده الضئيل من شدة ضحكه ، ثم نظر إلى (أدهم) ، وقال فى شماتة واضحة :

— هل كنت تظن أنه فى إمكانك خداعى يا مستر (أدهم) ؟.. لقد كشفت أمرك منذ البداية ، وكونى لم أقتلك فى ذلك الحين ، يعود إلى نفس ما قلته من قبل .. إن مثلك لا يموت ميتة عادية ، أيها الشيطان المصرى .

* * *



١٢ ـ الذئب العجوز ..

ابتسم (أدهم صبرى) فى هدوء ، وقال وهو يحدِّق فى وجه (چورچ شيلدون) :

ـ أهو اختبار جديد يا مستر (شيلدون) ؟

ضحك (چورچ) ضحكة خبيثة ، وقال :

ـ مطلقًا يا مستر (أدهم) .. إنك لم تتصوَّر أبدًا برغم ملاحظتك ، مدى معرفتى لتاريخك أننى أفهمك جيِّدًا .. وأعرف أن مثلك لا يشترى بالمال ولا حتى ملايين الأرض جميعها .. إننى أعلم منذ البداية أنك تسايرنى ، حتى يمكنك الوصول إلى هنا .. إنك حتى لم تخدعنى حينما تظاهرت بالتجاوب ، وأنت وحدك مع زميلتك فى قصرى .. كنت واثقًا أنك كمحترف ستتوقع وجود أجهزة تصنُّت ، وستحاول استغلال ذلك .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـ يا للذكاء !!

مطَّ (چورچ) شفتيه ، وقال :

ـ اسخر ما شئت يا مستر (أدهم) ، ولكم أتمنَّى أن تدوم سخريتك هذه ، حينما تعلم المصير الذى أعددته لك .

انكمشت (منى) فى مقعدها ، والتصقت بـ (أدهم) ، الذى قال فى سخرية شديدة :

ـ هل ستقتلنى بقنبلة ذرِّيَّة ؟

أومأ برأسه وقال فى هدوء :

ـ تمامًا يا مستر (أدهم) .. سنضعك داخل الطائرة الذاتية التوجيه ، التى ستنطلق فجر الغد إلى الإسكندرية ، وفى داخلها قنبلتنا الذرية .

ثم ضحك فى خبث وشراسة ، وهو يستطرد :

ـ ستموت فى أرض الوطن يا مستر (أدهم) .

وأشار إلى (منى) قائلًا :

ـ أما المصرية الحسناء ، فستشهد معى لحظة الانتظار .

ثم أشار إلى علبة صغيرة فوق مكتبه ، وقال ضاحكًا :

— وقبل أن تمضى إلى حتفك يا مستر (أدهم) ، أريد أن تعلم أن ما يبدو لك كعلبة صغيرة فوق مكتبى ، هو مفتاح تدمير المركز بأكمله .. أخبرك بذلك حتى أزيد من حسرتك ، حينما تعلم أنك كنت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق مهمتك .

وانطلق يضحك ضحكة عالية ساخرة ، ارتجف لها قلب (منى) واشمأزت لها نفس (أدهم) .

* * *

نهض (أدهم) من مقعده ، وابتسم ابتسامة ساخرة ، أثارت القلق فى نفس (چورج) ، وقال فى هدوء عجيب :

— لقد قضى عليك غرورك أيها الذئب العجوز .

تقدَّم أحد الرجال الخمسة من (أدهم) فى غضب ، ولكزه بفوهة مدفعه الرشاش فى جنبه ، ولكن (منى) كانت قد فهمت ما يريده (أدهم) تمامًا ..

وفجأة قفزت (منى) من مقعدها ، وركلت المدفع الرشاش الذى يمسك به أبعد الرجال من (أدهم) ، الذى

تحركت أطرافه الأربعة فجأة ، وفى آن واحد وتناسق شبه مستحيل ، ليبعد ماسورة المدفع الرشاش الذى يلتصق بجنبه ، ويلكم حامله لكمة هشَّمت فكَّه تمامًا فى صوت مسموع ، ويركل مدفعين آخرين فى نفس الوقت ، ليطيح بهما بعيدًا ، على حين هبطت (منى) بحافة يدها على مؤخرة عنق الرجل الخامس بطريقة فنية ، فأفلت المدفع الرشاش من يده ، وفقد وعيه ..

وفى نفس الوقت الذى استغرقته (منى) لتتغلَّب على الرجل الثانى ، كان (أدهم) قد هشَّم أنف أحد الرجال وعنق الثانى ، وجمجمة الثالث ، وانتهى الرجال الخمسة فى أقل من نصف دقيقة أمام عينى (چورج شيلدون) المذهولتين ..

تراجع (چورج) فى رعب وذهول ، ولكن (أدهم) قفز نحوه وجذبه من سترته ، وهو يقول فى سخرية :

— هل كنت تظن أن أراجوزاتك الخمسة قادرين على منعنا أيها الذئب العجوز ؟

صاح (چورچ) :

ـ أنت مجنون .. لن يمكنك مغادرة هذا المكان حيًّا .

جذبه (أدهم) فى قسوة إلى مكتبه ، وفتح غطاء العلبة الصغيرة الموضوعة فوق المكتب ، ولاحظ أنها مثبتة فوقه ، وعلم مدى خطورة الأزرار الثلاثة داخلها ، حينما صرخ (چورچ) فى فزع :

ـ لا .. لا يا مستر (أدهم) .. ستقتلنا جميعًا .

ابتسم (أدهم) ساخرًا ، وقال :

ـ أعتقد أن ذلك أفضل من سيطرة وغد مثلك على العالم أجمع ، أيها الذئب العجوز .

تحوّلت لهجة (چورچ) إلى التوسُّل ، وهو يقول :

ـ أرجوك يا مستر (أدهم) .. إذا ما ضغطت على ذلك الزّرّ ، لن يكون أمامنا سوى عشر دقائق للهروب .. سنقضى علينا جميعًا .

وكأنما تذكر شيئًا ما ، فقد صاح فى أمل :

ـ سأمنحك مليار دولار ، مقابل تنازلك عن المهمة



ـ أرجوك يا مستر (أدهم) .. إذا ما ضغطت على ذلك الزّر ، لن يكون أمامنا سوى عشر دقائق للهروب ..

يا مستر (أدهم) .. تصوَّر ما يمكنك أن تفعله بألف مليون دولار .. ستكون أغنى رجل فى الشرق الأوسط .

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

ـــ هذا صحيح ، ولكن الثمن سيكون باهظًا عندئذ أيها الوغد .

وببساطة متناهية ضغط (أدهم) على الأزرار الثلاثة ، وأشعل فتيل الموت .

* * *



١٣ ـــ سباق مع الموت ..

لم يكد (أدهم) ينتهى من الضغط على الزِّرِّ الثالث ، حتى أضاء مصباح أحمر فى أعلى باب حجرة (چورچ شيلدون) ، وشحب وجهه بشدة ، وصاح فى جزع :

ـــ لقد قضيت على عمل العمر يا مستر (أدهم) .

واتسعت عيناه ذعرًا ، وهو يصيح :

ـــ أسرع يا مستر (أدهم) .. أسرع .. هناك وسيلة واحدة للنجاة .

سأله (منى) فى دهشة :

ـــ النجاة ؟!! .. وهل يمكن أن ينجو الإنسان من قنبلة ذرِّية فى عشر دقائق .

صرخ (چورچ) فى رعب :

ـــ نعم .. نعم .. هناك طريق خاص يقود إلى زورق بخارى قوى .. سنبتعد بالقدر الكافى لو أننا بدأنا على الفور .

نظرت إليه (منى) فى دهشة ، وسأله (أدهم) فى سخرية :

ـــ هل أصابك الخوف بالجنون ، أيها الذئب العجوز ؟

صرخ فى يأس :

ـــ مطلقًا يا مستر (أدهم) .. صدِّقنى أرجوك قبل فوات الأوان .. إن باطن هذا الجبل محصَّن ضد القنابل الذرِّية ، ولو انفجر المفاعل النووى بداخله ، فلن يسفر عن أكثر من انفجار متوسط القوة خارجه ، ولقد أعددت العدة لكل الاحتمالات .. ففى حالة حدوث هجوم غير قابل للصدّ ، يمكننى نسف المكان والهروب دونما خطر .

قال (أدهم) وهو يقطِّب حاجبيه :

ـــ إنك لم تزوِّد برنامج الهروب بجهاز خاص لإنذار رجالك .. أليس كذلك ؟

صرخ (چورج) وهو ينظر فى ساعته برعب :

ـــ إن هروب هذا العدد الكبير فى آن واحد سيسبِّب ارتباكًا شديدًا .. لقد فضَّلت الهرب وحدى إذا ما اضطرتنى الظروف .

نظرت (منى) إلى (أدهم) فى أمل ، فجذب (چورج) من سترته ، ونظر فى عينه بصرامة وهو يقول :

ـــ ستقودنا إلى طريق النجاة أيها الوغد ، ولو أنك حاولت خداعنا ، فسأحطم رأسك النحيل هذا دونما تردُّد .

* * *

انطلق (چورج شيلدون) يعدو بأقصى سرعة يمكنه بها جسده الضئيل ، ويتبعه (أدهم) و (منى) داخل الممر السرِّىّ الواسع المتصل بمكتبه ، وهو ينظر إلى ساعته فى رعب ، فلم يعد أمامهم سوى سبع دقائق فقط ، وبعد دقيقة واحدة خرج الثلاثة إلى النور ، بعد أن عبرُوا بابًا سرِّيًا يفتح بنظام إلكترونى معقَّد ..

كان الساحل المنبسط أمامهم خاليًا تمامًا ، إلَّا من زورق بخارى كبير ، مربوط بسلسلة حديدية إلى حلقة ضخمة مثبتة بالصخر .. كان من الواضح أن هذا المكان يُخفى عن الجميع عدا (چورج شيلدون) ؛ لدرجة أنه لا توجد حوله

أية حراسة على الإطـــلاق .. وأسرع (چورج) نحو الزورق ، وانحنى يفحص مقدمته فى اهتمام ، فنظر (أدهم) إلى ساعته ، وقال :

ـــ لم تبق سوى أربع دقائق يا مستر (شيلدون) .

وفجأة استدار (چورج) ، وهو يصوِّب مسدسًا ضخمًا إلى (أدهم) و (منى) ، وأطلق النار دون تردُّد ، وهو يصرخ فى شماتة :

ـــ الزورق لا يتسع لثلاثة أشخاص أيها الشيطان المصرى .

دفع (أدهم) (منى) بعيدًا عن مرمى النيران ، ثم قفز إلى اليسار متفاديًا الرصاصة القاتلة ، فى سرعة تليق بلقبه كرجل المستحيل ، واندفع إلى الأمام فى غضب صارخًا :

ـــ أيها الوغد العجوز .

ارتجفت أطراف (چورج شيلدون) جزءًا من الثانية ، ثم استكان جسده تمامًا ، بعد أن هشَّم (أدهم) أنفه بلكمة ساحقة ، أودعها غضبه وحنقه ، واستدار إلى (منى) صائحًا :

ـــ أسرعى أيتها النقيب .. لم تبق أمامنا إلا ثلاث دقائق .

حاولت (منى) النهوض ، ولكنها سقطت أرضًا ، وقالت بتأوُّه :

ـــ يبدو أن كاهلى قد التوى يا (أدهم) .

لم يضع (أدهم) لحظة ، فانحنى وحملها بين ذراعيه القويتين ، ووضعها داخل الزورق البخارى ، ثم قفز خلف عجلة قيادته ، وأدار المحرِّك ، ثم ابتعد عن شاطئ الجزيرة فى سرعة خرافية ، فصاحت به (منى) :

ـــ هل ستترك (چورج) ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ القبطـان دائمًا يغوص مع سفينته إلى الأعماق يا عزيزتى .

وفجأة انهمرت الرصاصات حول جانبى الزورق ، وارتفـع صـوت عدد من المدافع الرشاشـة .. فقطَّب (أدهم) حاجبيه ولكنه لم يتوقَّف ، بل زاد من سرعة الزورق

البخارى ، محاولاً الابتعاد بقدر الإمكان قبل انفجار الجزيرة على حين استدارت (منى) لتجد ثلاثة من رجال (چورج شيلدون) يطلقون النار خلفهم فى شراسة ، فصاحت فى جزع :

ــ من أين ظهر هؤلاء الأوغاد ؟

أجابها (أدهم) فى سخرية ، وهو يضغط دوّاسة الوقود بكل قواه :

ــ لن نشغل أنفسنا بالبحث عن تفسير لذلك فى الوقت الحالى يا ....

وتوقّف عن إتمام عبارته فجأة ، وأغلق عينيه فى قوة .. فتطلّعت (منى) فى دهشة إلى وجهه الذى تصبّب عرقًا ، وسألته فى جزع :

ــ (أدهم) ! .. ماذا أصابك ؟

ولكنها اطمأنت قليلاً عندما عاد يفتح عينيه ، ويبتسم ابتسامة ساخرة غاية فى الشحوب ، وهو يقول :

ــ لا عليك يا عزيزتى .. إنها مجرد وعكة طارئة .

ثم ألقى نظرة خاطفة على ساعة يده ، وقال فى هدوء وهو يضغط على أسنانه :

ــ بقيت أمامنا دقيقة واحدة ، ولقد ابتعدنا بمقدار أربعة أميال بحرية عن الجزيرة ، وها نحن أولاء نقترب من جزيرة أخرى صغيرة من جزر (ألوتيان) .. سأبذل جهدى للدوران حولها ، بحيث تكون بمثابة ساتر واق بيننا وبين الانفجار .

سألته فى جزع :

ــ هل تعتقد أننا سننجو ؟

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وقال :

ــ من حسن حظنا أن الجبل محصّن ضد الانفجارات النووية ، مما سيكتم إنفجار المفاعل الذرّى داخله .. صحيح أنه سيتحطّم نوعًا ما ، ولكن ليس بنفس القدر الذى يحدث ، لو أن القنبلة الذرّية انفجرت خارجه .. بل لن يساوى حتى عُشْر ذلك .

أشارت (منى) فجأة إلى السماء ، وقالت :

— يا إلهى !! هذا ماكان ينقصنا .

رفع (أدهم) رأسه إلى حيث أشارت ، ثم ابتسم فى ضعف ، وقال :

— إنها المرة الثانية التى تهاجمنا فيها صديقتنا (سونيا جراهام) من السماء يا عزيزتى .

وقبل أن يتم عبارته ، أمطرت السماء حوله وابلاً من الرصاص ، من المدفع الرشاش الذى تحمله بين يديها أفعى (الموساد) (سونيا جراهام) .

* * *



١٤ ـ الشيطان والأفعى ..

قبل هذه الأحداث بعشر دقائق فقط ، وفى نفس اللحظة التى ضغط فيها (أدهم) على زرِّ التفجير فى جزر (ألوتيان) ، كانت هناك طائرة صغيرة تعبُر خليج (الاسكا) ، فى طريقها إلى هناك ، وعلى متنها (آلان شيفاليه) و (سونيا جراهام) .. كانت الأخيرة تقول فى غيظ :

— إنكم تفسدون كل شىء ، بمحاولتكم ضم هذا الشيطان المصرى (أدهم صبرى) يا مسيو (آلان) .

نفث (آلان) دخان سيجارته فى هدوء ، وقال :

— لا تخشى شيئًا يا جميلة الجميلات ، إننى أحمل زرًّا يمكّننى من إطلاق الطائرات ذات القالب الذرّى ، فور شعورى بالخطر .

نظرت إليه (سونيا) فى دهشة ، وقالت :

ــ تحمل الزّرّ ؟! .. أين ؟ .

رفع يده اليمنى أمامها ، وقال فى مكر :

ــ هل لاحظت ياترى ، أننى لا أستخدم مطلقًا سوى يسراى ؟

حدّقت (سونيا) فى يده اليمنى الممدودة أمامه ، ثم لم تلبث أن صاحت فى دهشة :

ــ إنها صناعية يا مسيو (شيفاليه) .

ضحك (شيفاليه) ، وقال :

ــ نعم يا فتاتى .. هذا ما أسمّيه الاستفادة من الكوارث .. لقد بترت يدى منذ كنت فى العاشرة بسبب حادث سخيف ، وظللت أعانى عقدة النقص سنوات طويلة ، كافحت خلالها حتى أصبح غنيًا ، وحتى ينظر الناس إلى أموالى ، فينسون كفّى المبتورة .. ولم ألبث أن صنعت يدًا صناعية سخيفة فى البداية ، ثم تزايدت ثروتى ، وأصبحت اليد الصناعية أقرب شبهًا إلى الأيدى الطبيعية .. وعندما بدأنا أنا ومستر (شيلدون) مشروعنا للسيطرة

على العالم ، وجدت ليدى الصناعية فائدة أخرى .

ثم أدار سبّابته الصناعية فى سهولة ، ونزعها ، كاشفا زرًا أزرق صغيرًا من تجويفه ، وقال :

ــ هذا الزّرّ الصغير ، يمكنه إطلاق الطائرات نحو أهدافها ، فى حالة الخطر يا عزيزتى .. اطمئنى .. إننا لم نهمل أية تفاصيل أو احتمالات .

نظرت (سونيا) من زجاج النافذة ، وقالت فى خبث :

ــ نعم يا مستر (شيفاليه) .. لقد درستما كل الاحتمالات .

وفجأة اتسعت عيناها دهشة ، وحدّقت فى ذهول من خلال زجاج النافذة إلى خليج (ألاسكا) ، ثم صرخت فى حنق :

ــ مُرْ (موريس) بمطاردة هذا الزورق البخارى ، الذى يندفع عَبْر مياه الخليج يا مسيو (شيفاليه) .. إنه (أدهم صبرى) .. لقد تمكّن من الهروب .

اتسعت عينا (آلان) رعبًا ودهشة ، وحدّق بدوره

فى الزورق الذى ينطلق فى سرعة مذهلة ، يشق مياه الخليج نحو جزيرة أخرى من جزر (ألوتيان) ، ثم صاح يأمر (موريس) الذى يقود الطائرة بمطاردة الزورق البخارى ، وتناول من جانب الطائرة مدفعًا رشاشًا ، وهو يقول فى غضب :

— لن نسمح لهذا الشيطان بالهروب يا (سونيا) .. أليس كذلك ؟

انتزعت (سونيا) المدفع الرشاش من بين يديه ، صائحة :

— دعه لى يا مسيو (شيفاليه) ، إننى أجيد استخدامه بحكم مهنتى .

شعر (آلان شيفاليه) بالدهشة البالغة ، عندما بدأت (سونيا) فى إطلاق النار على الزورق البخارى ، الذى يقوده (أدهم) فى سرعة تفوق سرعته المألوفة ، فلم يكن يتصوَّر مطلقًا أن وجهًا جميلًا بارع الحسن كوجه (سونيا) ، يفيض رقة وعذوبة ، يمكنه أن يتحوَّل هكذا

فى لحظة واحدة إلى شراسة ووحشية مخيفة ، ولا أن أصابعها الرقيقة الصغيرة يمكنها أن تجيد إطلاق النار ، بنفس البساطة التى تستخدم بها أدوات (المكياج) .. وازدادت دهشته عندما تحوَّل صوتها الرقيق إلى صوت أجش قاس ، وهى تصرخ فى غل :

— لن تنجو منى هذه المرة يا (أدهم) .. لن تنجو منى أبدًا .

* * *

واصل (أدهم) اندفاعه نحو الجزيرة الأخرى ، غير مبال برصاصات (سونيا) ، التى انهمرت كالمطر ، على حين ارتجف جسد (منى) ذعرًا وهى تقول :

— هذه الأفعى تطلق النار علينا بسخاء .

اختلس (أدهم) النظر إلى ساعته ، وقال فى هدوء وسكينة :

— دعْك منها يا عزيزتى .. سينتهى الأمر كله بعد عشر ثوان فقط .

ثم انحرف بالزورق البخارى فى صورة مفاجئة ، ليدور به حول الجزيرة الأخرى ، فصرخت (سونيا جراهام) فى انفعال ، وهى تواصل إطلاق النار فى شراسة :

— لن أسمح لك بالهرب .. لن أسمح لك بالنجاة أيها الشيطان المصرى ..

ولم تكد تتم عبارتها ، حتى دوّى صوت انفجار قوى مكتوم ، اهتزت له مياه خليج (ألاسكا) ، وارتفعت أمواجه ، واندفعت النيران من كل فتحات التهوية بالجزيرة مركز القيادة ، وتناثرت أحجار الجبل ، وانطلقت فى الفضاء لتتناثر فى مياه الخليج ، وانبعثت موجة قوية من التضاغط الهوائى ، أخلّت بتوازن الطائرة ، فتأرجحت كريشة فى مهبّ الريح .. وبذل (موريس) جهدًا خرافيًا فى محاولة يائسة لإعادة اتزانها ..

وبرغم أن (أدهم) و (منى) كانا يبعدان نحو ستة أميال بحرية عن مركز الانفجار ، وأن الجزيرة الأخرى كانت تصنع ساترًا بينهما وبينه ، إلا أنهما شعرا بلفحة من الهواء

الساخن القوى ، وباختناق شديد ، كأنما خلا الهواء من الأكسوجين اللازم للتنفس ، وخفق قلباهما بشدة دقائق طويلة ، ثم هدأ الجو من حولهما ، ورفعت (منى) رأسها لتجد (أدهم) وقد أسند رأسه إلى عجلة القيادة ، فصاحت فى سعادة :

— لقد نجونا يا (أدهم) .. لقد نجحنا وحطّمنا إمبراطورية العالم المنتظرة ونجونا .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ضعيفة باهتة ، وقال :

— المهم أنك نجوت يا عزيزتى .

حدّقت (منى) فى وجهه ، وقد أدهشتها لهجته الضعيفة ، ومدّت يدها لتربّت على ظهره ، ثم تراجعت فى حدّة وظهرت فى عينيها أبلغ آيات الرعب ، وهى تحدّق فى ذعر فى بقعتين حمراوين دمويتين لوثتا ظهر (أدهم) ، وصرخت بلوعة وجزع :

— ربّاه !! لقد أصابتك رصاصات هؤلاء الأوغاد .. لقد أصابوك يا (أدهم) .



ثم تراجعت فى حدة وظهرت فى عينيها أبلغ آيات الرعب ،
وهى تحدق فى ذعر فى بقعتين حمراوين دمويتين ..

فتح (أدهم) عينيه فى صعوبة ، وابتسم ابتسامة ساخرة شاحبة ، وهو يقول :

ــ لكل شىء نهاية يا عزيزتى .. كل المخلوقات مآلها الزوال .

ثم أغلق عينيه واستكان ، فصرخت (منى) صرخة قوية ، وهى تمسك كتفيه فى قوة ورعب ، وتفجَّرت من عينيها الدموع ، وخيِّل إليها من خلال دموعها أنها تلمح زورقًا ضخمًا يقترب .

* * *



١٥ ــ فى سبيل العالم ..

نجح (موريس) ــ فى محاولة أخيرة يائسة ــ فى إنقاذ الطائرة ، قبل أن يدمرها انفجار الجزيرة .. أسرع يبتعد عن المكان ، فصرخت (سونيا) :

ــ لا تبتعد قبل أن أقتل هذا الشيطان المصرى .

صفعها (آلان) فى قسوة وصاح :

ــ فليذهب هذا الشيطان إلى الجحيم .. لقد خسرنا المعركة ، ألم تلاحظى ذلك ؟ .. لقد انفجرت الجزيرة وتحطَّم كل شىء ..

صرخت (سونيا) ، وهى تتشنج من شدة الغيظ :

ــ المهم أن أقتل (أدهم صبرى) .. المهم أن أقتل هذا الشيطان .

ثم انهارت باكية ، فزفر (آلان) فى ضيق ، وقال :

ــ لقد خسرنا أموالاً طائلة يا (سونيا) .. مليارات الدولارات ، ولكننا لم نخسر كل شىء .

رفعت رأسها إليه متسائلة ، فاستطرد قائلاً :

ــ لقد أعددت العُدَّة لهذا الاحتمال .. لقد أودعت مليار دولار فى بنوك (سويسرا) بأسماء سرِّيَّة .. سنبدأ مرة أخرى ، وسيكون لنا العالم فى المرة القادمة .

ابتسمت (سونيا) ، ومسحت دموعها وهى تقول :

ــ أنت رائع يا مسيو (شيفاليه) .. أنت متفائل للغاية .

ثم أخرجت من حقيبتها أدوات مكياجها ، وبدأت فى تعديل زينتها فى هدوء شديد ، وكأنها لم تكن تمسك بمدفع رشاش منذ لحظات ، وقالت :

ــ حسنًا يا عزيزى (شيفاليه) .. سأعود أنا إلى دولتى ، وأقدِّم تقريرًا ضخمًا ، وأنتهز أول فرصة وألحق بك فى سويسرا ، دون أن أثير الشك .

ابتسم (آلان) فى مرارة ، وقال :

ــ اتفقنا يا جميلة الجميلات .. سنحاول أن نضع معًا الخطة الجديدة ، للسيطرة على العالم .

مدّت إليه كفها الرقيقة فتناولها فى كفه الخشنة ، وانحنى يقبّل أناملها ، موقعًا اتفاقية شيطانية جديدة فى عالم الشر .

* * *

انخرطت (منى) فى بكاء حار ، وهى تحتضن جسد (أدهم) ، الذى استكان وقد شحب وجهه ، حتى حاكى وجوه الموتى ، ولم تشعر باقتراب الزورق الضخم من زورقهم البخارى ، إلّا حينما شعرت برجل يضع قدميه فى الزورق ، فرفعت إليه عينيها الدامعتين ، وتغلّبت عليها حماسة المخابرات ، فقالت دون أن تتبيّن ملامح الرجل ، وإن لاحظت ضخامة جسده ، وعرض منكبيه :

— لقد كنا نتنزّه حينما حدث الانفجار .. إننا سائحان و ....

قاطعها الرجل ، وهو ينحنى ليفحص جسد (أدهم) فى اهتمام ، ويقول :

— هراء .. إن هذا الرجل المفتول العضلات ، ضابط مخابرات مصرى يدعى (أدهم صبرى) .

حدّقت (منى) فى وجه الرجل بدهشة ، وتبيّنت للمرة الأولى أنه عريض الوجه ، غليظ الملامح ، وإن نمّت عيناه عن الهدوء والطيبة ، وسمعته يستطرد فى هدوء :

— اطمئنّى يا سيّدتى .. نحن زملاء لكما فى الـ(سى . أى . إيه) ، أو المخابرات المركزية الأمريكية .

ثم أشار إلى جسد (أدهم) ، وقال :

— إننا نعد هذا الرجل أعظم أبطال المخابرات على مرّ العصور .. إنه مثلنا الأعلى .

تفجّرت عينا (منى) بالدموع ، وأخفت وجهها بين كفّيها ، وهى تقول :

— تقصد أنه كان كذلك أيها الزميل .. لقد انتهى (رجل المستحيل) .

* * *

١٦ ـ الختام ..

ابتسم رجل المخابرات الأمريكى غليظ الملامح فى وجه (منى) ، وقال وهو يشير إلى حجرة كبيرة فى مستشفى القوات البحرية الأمريكية :

ـ إنه يطلب رؤيتك .

تهللت أسارير (منى) ، وأسرعت إلى الغرفة ، ولم تلبث ملامحها أن عبّرت عن أعمق معانى السعادة والفرح ، وقفزت الدموع من عينيها وهى تتطلّع إلى (أدهم) ، الذى رقد على سرير أبيض صغير من أسرّة المستشفى ، والتفّت حول وسطه الضمادات ، وبدت كتفاه العاريتان القويتان علامة على شفائه ، وابتسم فى مرح وهو يلوّح إليها بكفّه قائلاً :

ـ مرحبًا أيتها النقيب .. سمعت أنك بكيت من أجلى .

ألقت (منى) بنفسها بين ذراعيه ، وقالت وسط دموع فرحها :

ـ يا لك من بطل !! لقد أصابتك الرصاصتان وأنت تقود الزورق ، ولكنك لم تتوقّف لحظة واحدة إلّا بعد أن تأكدت من النصر .

مسح على رأسها بكفّه ، وهو يقول فى حنان :

ـ كنت أحاول إنقاذك يا عزيزتى .

رفعت رأسها إليه وفى عينيها نظرة امتنان عميقة ، فضحك وهو يقول :

ـ لن أحتمل عينيك يا عزيزتى .. إنهما أخطر من إنقاذ العالم .

سمع كلاهما صوت رجل المخابرات الأمريكى .. وهو يقول :

ـ العالم يعيش فى أمان بفضلك أنت أيها البطل المصرى .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال فى مرارة :

— نعم أيها الزميل .. لقد بقى العالم كما كان ، تتصارع فيه جميع القوى ، وتشتعل مئات الحروب الصغيرة ، ويموت الآلاف جوعًا .. فى نفس الوقت الذى تلقى فيه دول أخرى بفائض إنتاجها من الغذاء ، ويلقى مئات الأطفال حتفهم من شدة العطش والجفاف ، على حين تفيض أنهار أخرى ، وتلقى بمياهها فى البحار .. نعم أيها الزميل .. لقد بقى العالم كما هو .

مطَّ رجل المخابرات الأمريكى شفتيه ، وقال :

— هذا حال الدنيا أيها الزميل .

هزَّ (أدهم) رأسه ، وقال :

— حسنًا .. لندع الخلق للخالق .

ثم ابتسم وهو يستطرد :

— أرجو أن تبلغ شكرى لقيادة المخابرات الأمريكية ، على مجهودها الكبير فى إنقاذ حياتى .

أومأت (منى) برأسها ، وهى تقول فى امتنان :

— لقد كنتم رائعين .. لقد نقلتموه بطائرة هليكوبتر إسعافية خاصة تابعة للبحرية الأمريكية ، وعكف أطباؤكم

على رعايته منذ اللحظة الأولى ، وجندتم كل القوى والإمكانات لـ ....

قاطعها رجل المخابرات الأمريكى ، قائلاً :

— هذا أقل ما ينبغى تقديمه ، لرجل أنقذ العالم كله من الوقوع فى أيد طاغية .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

— هل ألقيتم القبض على (آلان شيفاليه) ؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

— ليس بعد ، ولكننا سنفعل يا زميلى .. كن واثقًا من ذلك .

سأله (أدهم) :

— و(سونيا جراهام) ؟

ابتسم الرجل ، وقال :

— هذه الأمور تتوه فى دهاليز السياسة يا مستر (أدهم) .. من الصعب اتخاذ خطوات حاسمة فى مثل هذا الأمر .

وفى تلك اللحظة تصاعد صوت فتيات تتحدثن فى حدّة ، فسألت (منى) :

ــ ماذا يحدث هنا ؟

قطّب رجل المخابرات حاجبيه ، وغادر الغرفة مستطلعًا الأمر ، ولم يلبث أن عاد مبتسمًا ، ولمّا أعادت عليه (منى) سؤالها أجاب ضاحكًا :

ــ إنهن الممرضات القائمات على الرعاية فى هذا القسم .

ثم ضحك وهو يغمز لـ (أدهم) قائلًا :

ــ إنهن يتنافسن على القيام برعاية البطل المصرى الوسيم ، مفتول العضلات .

ضحك (أدهم) فى مرح ، على حين قطّبت (منى) حاجبيها فى غيرة ، ثم لم تلبث أن شاركتهما ضحكهما ، حينما تنبّهت إلى أنها الوحيدة التى تحظى بالمشاركة الدائمة لـ (رجل المستحيل) .

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٣٦١٩